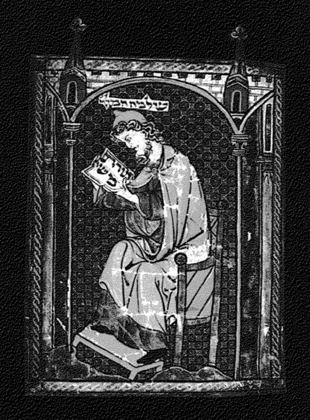
الساميون والمعادون للسامية



برنارد لويس

ترجمة

محمد محمود عمر

المحامي

الساميون والمعادون للسامية

بحث في الصراع والكراهية

الساميون والمعادون للسامية

بحث فى الصراع والكراهية

تأليف

برنارد لويس

ترجمة

محمد محمود عمر

المحامى

إهـــداء

إلـــى روح أنـــور الســـادات القـــائد الخـــالد
إلـــى روح إسحاق رابين رئيس حكومة إسرائيل
الرائديـــن اللذيـــن ذهـــبا ضحية التعصب الأعمى
والكراهـــية الحاقدة على كل ما هو جميل ورائع
في النفس الإنسانية .

كلمـــة المترجم

من حسن الحظ أنني عشت الزمن الجميل ، أيام أن كانت الأسماء مثل قطاوي باشا في السراي الملكية ، وموصيري في البنوك ، وشيكوريل وشملا وبنزايون في الأوساط التجارية ، أسماء عادية تبعث على الاحترام والإعجاب ، بل ويسعى الكل إلى التعرف بها والتعامل معها .

أيام أن كان هناك يهود في حارة اليهود . أيام أن كان الموسكي يعج بتجار الجملة من اليهود . أيام أن كنا نتعامل مع اليهود ونتصادق مع اليهود بل ونتزوج من اليهود.

أيام أن كان نادي الزمالك اسمه النادي المختلط ، لأنه يضم أعضاء يهودا ومسيحيين وأجانب إلى جانب المصريين .

أيام أن كان نادي "المكابي" لكرة السلة يتبارى مع الفرق المصرية في روح رياضية لا تعرف التعصب ولا العنصرية .

أيام أن كانت مدن مصر - والقاهرة بخاصة - مدنا نظيفة متحضرة تعج بأشكال الجمال . أيام أن كنا نذهب إلى الأطباء اليهود في المستشفى الإسرائيلي الذي كان آية في الكفاءة والنظافة ، بل وكان هناك المختتون اليهود من أمثال سمحون المطهر .

ثم دخلت ودخلنا جميعا في عهد مظلم عرفت فيه مصر الحقد والكراهية والتعصب وإهدار المقامات والكرامات .

عهد لا يمكن أن أسميه إلا بعهد "الكذبة الكبرى"، عهد الهزيمة فيه تسمى نصرا ، والخسارة الفادحة الكاسحة انتكاسة ، ونهب الأموال حراسة وتأميما لصالح الشعب. ولا أظنني في حاجة إلى الاسترسال في وصف ما كنا فيه . فالكل يعلم آثاره

والكل يشكو منه ، بل ويكتب كاتب مصري كبير (أنيس منصور) في عدد جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ٨ فبراير سنة ٢٠٠٥ « أنه لا ولم يعجب بعهد الفوضى والتبذل والاستهانة بالقمم وإثارة الأحقاد وكراهية كل ما كان ».

وكان لابد أن يؤدي كل هذا إلى سلسلة من الهزائم النكراء ، وإلى أن يخرج الأجانب واليهود من مصر وأن نصير إلى ما نحن فيه .

وأنا لا أزعم أن الأجانب واليهود كانوا هم السبب الوحيد في ازدهار مصر ، ولكن مما لا شك فيه أن التعامل مع اليهود والأجانب والاختلاط بهم والاقتباس منهم كان ولا يزال من أهم العوامل في انتشار الذوق الجميل ، والطرق الحضارية ، والمنافسة الثقافية والاقتصادية ، مما يعود على الأمة جمعاء بالخير والعافية .

إن إسبانيا في عهد محاكم التفتيش في القرون الوسطى ، حين طردت المسلمين واليهود ، انتكست حضاريا وأصبحت أكثر الأمم الأوربية تأخرا ، ولم تنتعش وتنهض إلا بعد انتهاء عهد الجنرال فرانكو وانفتاحها على العالم ، وإن كانت لا تزال في مؤخرة الدول الأوربية .

ثم إن التعاون والصداقة بل والمحبة بيننا وبين اليهود في الزمن الجميل الذي ذكرته لم تكن بالشئ الغريب . بل هي في ظني استمرار وامتداد لجذور نشأت وامتدت منذ زمن قديم .

وعلى سبيل المثال فإنه في القرن الحادي عشر كتب القاضي المسلم ابن سعيد الأندلسي في كتابه « طبقات الأمم » صفحات ١٢١ -١٣٦ طبعة القاهرة ، كتب يعدد الأمم الثماني التي ساهمت في نمو العلم والثقافة في الجنس الانساني ، وهم حسب قوله : الهنود ، والفرس ، والكلديون ، واليونانيون والرومان (وهي تسمية تشمل البيزنطيين والمسيحيين والشرقيين بوجه عام) والمصريون (يقصد المصريين القدماء) والعرب (وفيهم المسلمون عموما) واليهود . واليهود بذلك أعضاء في صحبة طيبة .

والفصل من الكتاب المخصص لهم يتحدث عنهم بأدب وترحيب ، كما أنه - اي الفصل - عامر بالمعلومات الصحيحة . والقاضي يلاحظ في العهود المتقدمة ، أن اليهود لم يبرزوا في الفلسفة بل كانوا مهتمين في الأغلب بدراسة القانون القدسي وحياة الرسل .

وفي هذا الموضوع فإنهم كانوا أكثر الناس علما به ، ولذلك فقد كانوا مصدرا رئيسيا للمعلومات بالنسبة للباحثين المسلمين . إن بني إسرائيل كانوا مهد النبوة حيث إنهم كانوا الأول الذين ظهر بينهم أنبياء مرسلون . وأغلبية الأنبياء ، كما يلاحظ الكاتب المسلم ، كانوا من اليهود .

أما بقية الفصل فإنها مخصصة للعلماء والبحاثين اليهود في الدول الإسلامية . وينتهي الفصل بتعداد اليهود المعاصرين للقاضي سعيد الأندلسي في بلده توليدو الإسبانية .

كما أن اليهود في إسبانيا حينما قامت محاكم التفتيش بطردهم هم والمسلمين اتجهوا في أغلبهم إلى أراضي الإمبراطورية العثمانية حيث قوبلوا بالمعاملة الحسنة التي لم يروها في أي بلد أوربي .

من هذا يظهر أن اليهودي منذ الأزل كان معتبرا إنسانا خيِّرا ، عالما أديبا متدينا ، وأن ما كنا نحن عليه من الاختلاط باليهود والتعامل معهم لم يكن شيئا غريبا مستهجنا بل كان شيئا ذا جذور عميقة .

ومع الأسف زال ذلك كله ، وأصبح اليهودي بفضل عهود الظلام ، عدوا مجرما سفاحا ، أو بعبارة أخرى لا إنسانا .

لهذا رأيت أن أترجم هذا الكتاب علني أوصِّل إلى إخواني من المصريين والعرب صورة حقيقية عن التعصب الأعمى ضد اليهود ، أصله وسببه ومصادره وتطبيقاته . ولعلني بهذا أكون قد اسهمت في أن يعود التواصل الإنساني بين العربي واليهودي في سبيل عالم أفضل خال من الحقد والكراهية .[١]

---

(١) أرقام الصفحات المنشورة في الهامش تشير إلى ارقام الصفحات من الكتاب الأصلي. والمقصود من وضعها بهذا الشكل هو أن يسهل للقارئ إن شاء، أن يراجع الترجمة على الأصل الإنجليزي.

اعتراف بالفضل

إننى أتوجه بالشكر أولا وقبل كل شيء الى مساعدتى فى البحث «كورتين بليك» التى خففت مهارتها وعلمها ونشاطها عني كثيرا من عناء كتابة هذا الكتاب ، والتى ص٧ أنقذنى عمق نظرتها من الوقوع فى كثير من المزالق.

وهى غير مسئولة إطلاقا عن هذه المزالق التى أكون قد وقعت فيها بعيون مفتوحة وباختيار كامل. كما أريد التعبير عن تقديرى للسيدة «مارى أليس ماكورميك» التى أعانتها عنايتها الفائقة ومزاجها الهادئ على تحمل التغييرات والتعديلات الكثيرة من المسودة الأولى إلى الشكل النهائى.

وإننى مدين للملاحظات والانتقادات والاقتراحات التى تقدم بها كل من «بريسيلا بارنم» و«ثيودور دريبر» و«جريس ألدمن» و«دافيد أيزنبرج» و«زيفى إيبلك» و«يوفال خيبار» و«جودى جروس»و «كاثلين كافينى» و«ايتامار رابونيفتش» و«شيمون شامير» و«ايليوت شور» و« فرانك هـ . ستيوارت» وآخرين من الذين قدموا تعليقات نافعة جدا ولكنهم فضلوا عدم ذكرأسمائهم.

إننى أتقدم إلى هؤلا ء جميعا بشكرى على اقتراحاتهم التى قبلتها واعتذارى عن التى لم أقبلها.

وكذلك أشكر رئيسي تحرير مجلتى ENCOUNTER, SURVEY اللذين نشرا أجزاء من الفصل التاسع فى مجلتيهما فى وقت سابق .

وأخيرا فإننى أسجل دَيْنى لزملائى فى جامعة برنستون الذين ساهموا بطرق كثيرة فى تعميق فهمى للمشاكل التى نوقشت فى هذا الكتاب .

مقدمة المؤلف للترجمة العربية

إن القضية الفلسطينة كانت لزمن مضى ومازالت ، محل اهتمام العالم ، بقدر ما يبدو للوهلة الأولى أنه غير مناسب لأهمية القضية .

إن تقسيم فلسطين في سنة ١٩٤٨ وما نتج عنه وتبعه من حروب ، لا شك في أنه أنتج قدرا كبيرا من المعاناة والمقاساة ، ولكن الأعداد البشرية التي تأثرت بهذا الحدث ضئيلة بالنسبة لهذه التي نتجت عن تقسيم الهند في سنة ١٩٤٧ ، أو تلك التي أفرزها التعديل اللاإنساني لحدود أوربا الوسطى والشرقية في سنة ١٩٤٥ ، الحدثان اللذان نتج عنهما ملايين من اللاجئين . المسلمين الفارين من الهند إلى باكستان ، والهنود من باكستان إلى الهند ، والألمان والبولنديين في شرق أوربا .

إن بعض أسباب اهتمام العالم المستمر بالمشكلة الفلسطينية مقارنا بالمشكلات الأخرى يمكن فهمها بسهولة . واحد من الأسباب هو مركزية المشكلة جغرافيا ، حيث تقع في ملتقى ثلاث قارات أوروبا وآسيا وإفريقيا ، ومركزيتها ثقافيا حضاريا إذ هي توجد في نقطة تلاحم الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام . كل هذا يؤدي إلى هذا الاهتمام العالمي الخاص .

وسبب آخر لتركيز وسائل الإعلام على هذه القضية هو أنه واحد من الطريفين المتنازعين يكون مجتمعا مفتوحا كالمجتمعات الغربية .

وهذا معناه أن الإعلام العالمي له منتهى الحرية في أن يأتي ويذهب ، ويدخل ويخرج ، وأن ينشر ما يشاء صحيحا كان أو خطأ ، وكذلك تطعيم تقريراته بأصوات معارضة من داخل الحكومة والمجتمع ، مما يعطي رسائله حيوية وتنوعا ليسا متوافرين في المجتمعات السلطوية .

وللنظرة الأولى فإن المسألة الرئيسية تبدو وكأنها أمر طبيعي معتاد ، ألا وهو التنازع بين أمتين ودولتين على الأرض . إن نزاعات مثل هذه شيء معتاد منذ بداية التاريخ المسجل ، وقد تذهب أبعد في التاريخ غير المسجل لأجدادنا الأسطوريين . وفي الماضي تلك النزاعات انتهت فقط عندما يحقق أحد الطرفين انتصارا كاملا ، أو عندما يصل الطرفان المتنازعان إلى تسوية مقبوله للطرفين . وهناك في التاريخ الإنساني أمثلة كثيرة في الحالة الأولى وأمثلة أقل على الحالة الثانية .

وعامل آخر في النزاع الفلسطيني هو ذلك الذي قد يسميه الإنسان بالإحساس العادي المعادي للغير : التعصب .

وأيضا منذ بداية التاريخ المسجل وبلا شك قبل ذلك ، كان من الطبيعي أن يوجد مثل هذا الشعور المعادي ضد الأقوام المختلفين عن غيرهم بطريقة أو بأخرى . بالعرق أو بالجنس أو باللون أو اللغة أو العقيدة وحتى بعادات تناول الطعام .

هذا الشعور المعادي يمكن أن يظهر في عدم القبول ، وأحيانا أكثر بالاحتقار وفي أوقات النزاع يتحول إلى الكراهية .

وقد يؤدي إلى الفرقة والتجنيب وحتى إلى الاضطهاد وإلى صور أخرى من العنف. وإننا لنجد هذا في كل الأزمنة والأمكنة . إن هذا التعصب كان ولا شك عنصرا في المشكلة الفلسطينية ، ولكنه حتى وقت قريب كان عاملا ذا أثر محدود نسبيا ، ولكنه الآن أصبح عاملا رئيسيا وعائقا قويا يحول ضد التقدم في مسيرة السلام.

إنني اشير هنا إلى الظاهرة التي منذ أواخر القرن التاسع عشر أصبحت تعرف باسم المعاداة للسامية .

ويجب ألا نخدع بهذه التسمية ، لأنه أولا لايوجد ما يمكن أي يسمى شخصا ساميا . يوجد أقوام يتكلمون لغات سامية . العربية والآرامية والحبشية والأمهرية والعبرية والمالطية إلخ . لكن هؤلاء الناس يختلفون فيما بينهم اختلافا بينا في الجنس والعرق وكل الصفات الأخرى.

إن العداء للسامية كان موجها لليهود وفقط اليهود . وقد وضحت هذه النقطة تماما في الرسائل المتبادلة خلال الحرب العالمية الثانية بين المتحدث الرسمي للحزب

النازي الألماني ورئيس الحكومة العراقية السابق رشيد عالي الكيلاني ، الذي كان يعيش آنذاك في منفاه في ألمانيا .

في إجابة عن تساؤل من رشيد عالي عما إذا كان العداء للسامية موجها أيضا ضد العرب حيث إنهم أعضاء في العائلة السامية ، أجاب الدكتور « جروس » (مدير مكتب الأجناس السياسي) في الحزب النازي في خطاب مؤرخ ١٧ من أكتوبر سنة ١٩٤٢ ، شرح فيه بتأكيد عميق أن العداء للسامية هو شعور وسياسة موجهان فقط وعلى الخصوص ضد اليهود . ثم أضاف مذكرا بأن النازيين قد أظهروا دائما تأييدهم وتعاطفهم مع العرب ضد اليهود . وفي سياق خطابه علق على أن تعبير «العداء للسامية » الذي استخدم لعقود مضت في أوروبا بواسطة الحركة المضادة لليهود ، ليس بالتعبير الدقيق لأن تلك الحركة موجهة فقط وعلى الخصوص ضد اليهود وليس ضد اي أناس آخرين مما يتكلمون لغة سامية[١]

كيف يمكن للمرء أن يفرق بين العداء العادي أو التعصب من جهة والعداء للسامية من جهة أخرى ؟ إن معاداة السامية لها خاصيتان مميزتان يمكن بواسطتهما اكتشافها بسهولة . الخاصية الأولى هي أنه بالنسبة لليهود وتصرفاتهم يطبق معيار للحكم يختلف عن أي مجموعة أخرى من البشر سواء كانوا أصدقاء أو أعداء . والخاصية الثانية والأهم هي أن ينسب إلى اليهود صفات كونية إبليسية حافلة بالشر الأزلي .

إن العداء للسامية بهذا المعنى ، كان متأصلا في العالم المسيحي منذ الأزمان البعيدة المبكرة ، إلى أن قامت وانتشرت الديموقراطية في أوروبا الشمالية الغربية . أما بعد ذلك فقد أصبح العداء للسامية عاملا ثانويا في الغرب ، بينما بقي قويا ونشطا في أوروبا الشرقية

وقد بلغ هذا العداء أوجه وتعمقه بقيام النازية وتأسيس الرايخ الثالث ، مما نتج عنه ما هو معروف من النتائج المأساوية . أما في العالم الإسلامي ، العداء للسامية بهذا المعنى كان شيئا غير معروف حتى الأزمان الحديثة نسبيا .

---

[1] النص الألماني في الوثائق الألمانية سنة ١٩٤٤ ترجم بواسطة « ولفجانج ج. شوانتز » رئيس تحرير مطبوعات «ألمانيا والشرق الأوسط ١٩٤٥-١٨٧١ » طبعة برنستون سنة ٢٠٠٤ صفحات ٢٣٢-٢٣٤ .

وبالتأكيد فإننا نجد تعبيرات عن التعصب ضد اليهود ، وضد آخرين ؛ لكنه تعصب عادي معهود ، بل وفي أحيان قليلة كانت تحدث أفعال اضطهادية .

ولكن تلك الأفعال كانت قليلة الأهمية نسبيا ، إذ هي جزء من التصرف الإنساني الطبيعي من حيث عدم تقبل " الآخر " . أما التحول إلى عداء السامية بمعناه السيئ الذي شرحناه فقد بدأ في القرن التاسع عشر ، واستمر في النمو بسرعة متزايدة منذ ذلك الوقت .

إنني فيما سيتبع في هذا الكتاب حاولت التفرقة بين أشياء ثلاثة ، المشكلات الحقيقية ، والتعصب العادي الطبيعي ، والطراز الغربي في العداء للسامية .

إن دخول هذا النوع من الإحساس في منطقة لم تكن من قبل تعرفه أوصل إلى تعقيد المسائل تعقيدا ضخما إذ إنه أدى إلى إدخال المرارة على النزاع وكذلك السم في طرق الجدال .

إن هدفي من كتابة هذا الكتاب لم يكن الدخول في مناقشات الخطأ والصواب في النزاع الفلسطيني ، ولكن أحاول تنقية جو هذا النزاع من أبخرة التعصب الأعمى والكراهية اللامنطقية واللاعقلية . وأملي أنه مع توضيح المسائل بهذه الطريقة فقد نقترب خطوة أو خطوات من حلها .

إن هذا الكتاب نشر أولا في سنة ١٩٨٦ وأعيد طبعه مرات كثيرة . وأعيد نشره في سنة ١٩٩٩ مع تعقيب جديد . كما أنه ترجم إلى لغات كثيرة . وإنني لعميق الشكر والعرفان بالجميل إلى الأستاذ محمد عمر الذي أعطاني هذه الفرصة لكي أقدم أفكاري هذه للقارئ العربي .

برنارد لويس

برنستون ديسمبر سنة ٢٠٠٤

مقدمة للطبعة الجديدة

تعرض الشرق الأوسط لوقع وضغط سلسلة مهمة من التغييرات العالمية والقطرية والمحلية فى السنوات التى مضت منذ نشر هذا الكتاب أول ما نشر.

هذه التغييرات غيرت، ولكنها لم تحل المسائل والمشاكل التى وردت فى هذا الكتاب. ولذلك فإننى أضفت كلمة فى النهاية تبحث فى تفاعلات الصراع والكراهية فى هذه الحقبة الجديدة. ومرة أخرى أجد من دواعى سرورى الاعتراف بالجميل لأصدقائى وزملائى الذين عاونوا بوسائل عدة ، وأخص بالذكر هنا كلا من «آشر سوسر» و «استر ويبمان» الذين أجابا عن استفساراتى العديدة ، وأزيد القول بأنهما غير مسئولين إطلاقا عن أى من آرائى أو أخطائى.

مقدمــة

فى ٣ من أكتوبر سنة ١٩٨٠ وضـع إرهـابى مجهول قنبلة فى كنيس (سينا جوج) يقع فى شـارع Copernic فى باريس. وقد خطط للقنبلة أن تنفجر عند مغادرة ص١١ المتعبدين بعد انتهاء الصلاة، ولكنها فى الواقع انفجرت قبل الميعاد المخطط له ، ولذلك أحدثت أضرارا أقل بكثير مما كان مقصودا:

أربعة قتلوا، منهم اثنان عابرا سبيل ليسا يهوديين ، كما جرح عشرة. وبعد ساعات قليلة، ظهر رئيس وزراء فرنسا ريموند بار فى التليفزيون للتعبير عن تعاطفه مع الضحايا وغضبه على الفاعلين . وفى سياق تعبيره عن ارتياعه لما حدث قال : "لقد قصدوا اليهود، ولكنهم كذلك أصابوا فرنسيين بريئين" . لقد كان ما قاله بار واضحا فى معناه : أن الفعل قام به عرب يقصدون ضرب اليهود لنزاعهم مع إسرائيل ، ولكنهم قتلوا وأصابوا فرنسيين مارين مصادفة ليسا يهوديين ولا علاقة لهم بالصراع العربى الإسرائيلى.

لم يذكر رئيس الوزراء هذا المعنى بالقول الصريح، ولكن سامعيه ، وخصوصا اليهود، لم يفتهم إطلاقا التلميح بأن هؤلاء الأفراد الباريسيين الذين كانوا يصلون فى الكنيس ليسوا تماما فرنسيين وليسوا تماما أبرياء.

ومما جعل تصريح الرئيس الانفعالى الواضح بالغ الدلالة، أنه لم يكن معروفا عنه أنه معاد للسامية، وأن غضبه لم يكن موجها لليهود الذين كان يعبر عن تعاطفه معهم وإنما كان موجها لمن قاموا بهذه الضربة.

إن كثيرا من اليهود الفرنسيين، وبالرغم من أنهم تشكروا للعواطف وتشجعوا للغضب اللذين أبداهما مواطنوهم من الفرنسيين، فإنهم سألوا أنفسهم : لماذا تكلم رئيس وزرائهم فى تلك اللحظة الانفعالية بهذه الطريقة ؟

كما أنهم ما زالوا فى حيرة وشك هل الجناة عرب مثلا أم فرنسيون من أعداء السامية.

فى ٢١ من سبتمبر سنة ١٩٩٢ عقب إذاعة أول أنباء عن مذبحة صبرا وشاتيلا، ص١٢ قامت مجموعة من المدرسين في واحدة من أهم المدارس الثانوية «ليسيه فولتير» فى باريس بإعلان غضبهم وسخطهم على مذبحة الفلسطينيين فى معسكرات بيروت، وقرروا إيقاف الدراسة من الساعة العاشرة حتى الظهر احتجاجا. وقد حرروا رسالتين: واحدة لرئيس جمهورية فرنسا طالبين قطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع إسرائيل، والاعتراف الرسمى بمؤسسة التحرير الفلسطينية. والرسالة الأخرى إلى السفارة الإسرائيلية فى باريس طالبين سحب القوات الإسرائيلية فورا من بيروت ولبنان. وقد قرئت الرسالتان مع شرح واف، للطلبة الذين جمعوا فى ساحة المدرسة. وليس هناك أى دليل أو شاهد على أن تصرفا مثل هذا من هؤلاء المدرسين، فى تلك المدرسة أوغيرها، قد وقع ردا على أحداث حدثت فى بولندا وأوغندا وأمريكا الجنوبية، وفى أفغانستان وفى جنوب إفريقيا، بل وفى الشرق الأوسط، لا تقل فظاعة عما حدث فى صبرا وشاتيلا برغم فظاعة الحادث.

إن تصريحات رئيس وزراء فرنسا على قنبلة الكنيس، وتعليقات الإعلام الغربى على صبرا وشاتيلا كذلك، تثير مخاوف عميقة لا يكفى فى الرد عليها وطمأنتها الاشارة الى أنها صدرت بمناسبة الغزو الإسرائيلى للبنان والتدمير الذى تبعه مهما كان كبيرا.

وكذلك فانه يوجد ازدواجية غمامية فى استجابات أوروبية أخرى لهذه الأحداث. ففى ايطاليا مثلا مقاطعة عمال المطار لشركة الطيران الإسرائيلى العال، وتوزيع شارات عليها نجمة دافيد والصليب المعقوف النازى واستعمال شعار "إسرائيل نازية"، قد يفسر كل هذا ربما بالثورة النفسية على مبالغات الإسرائيليين وحلفائهم المسيحيين فى لبنان.

ولكن ذلك التفسير لا يمكن أن ينسحب على أفعال احتجاجية أخرى. كانفجار قنبلة فى كنيسن فى ميلان وروما، نتج عن الأخيرة قتل طفل يهودى عمره سنتان وجرح ٣٤ شخصا آخرين. أو على أمثلة احتجاجية أخرى أخف، كإلغاء حفل

استقبال بمناسبة يهودية "بار ميت زيفا" لإصرار العمال الإيطاليين على ذلك. ولا أظن أن اليهود الإيطاليين طمأنتهم كثيرا كلمات التعاطف التى وجهها اليهم «لوسيان لاما» رئيس اتحاد العمال عقب انفجار القنبلة سالفة الذكر فى روما إذ قال:" أصدقائى اليهود، لا تنغلقوا على أنفسكم ولا تعزلوا أنفسكم ولا تحولوا الجيتو القديم إلى جيتوا جديد".

إن رد فعل المدرسين الفرنسيين وآخرين كان مبعثه واضحا، وهو الشعور المعادى لإسرائيل. ولكن الأمر لا يخلوا من احتمال ولو غير مؤكد بأنه شعور معاد لليهود أيضا، وهذا هو الحال أيضا بالنسبة الى بعض وسائل الإعلام.

فى الحقبة الزمنية التى بدأت بقيام هتلر ولم تنته حتى الآن بعد بسقوطه، فإنه بات معروفا لدى بعض الاعلاميين " أن ما يحدث لليهود أخبار تستحق النشر . ص١٣

إن أى اشتباك صغير على الحدود بين إسرائيل وجيرانها ينشر على أوسع نطاق ويناقش، فى حين أن أخبار الحرب بين إيران والعراق، تلك الحرب التى أثبتت أنها أعنف وأدمى ثالث حروب هذا القرن تمر دون أى ذكر. وفقط ، وفى نهاية السنة الرابعة لهذه الحرب حينما بدأ الجانبان المتحاربان فى مهاجمة السفن المحايدة ، بدأت صحافة العالم فى إبداء اهتمام متقطع طفيف.

إن الملاحظة ذات المغزى فى اهتمام الإعلام بحوادث صبرا وشاتيلا ليس فى أن الإعلام اهتم هذا الاهتمام البالغ، لأن ذلك هو المعتاد إذا تعلق الأمر بإسرائيل أو يهود آخرين، وليس أيضا فى أن الاهتمام يبدو غير متناسب مع الاهتمام بجرائم أخرى فى أماكن أخرى من العالم، ذلك أن إسرائيل ويحق تعامل على أسس مختلفة عن الأسس التى تطبق على الحكومات الشمولية ، والتى لا تسمح على أى حال لوسائل الإعلام بأن تراقب تصرفاتها.

إن دور إسرائيل فى هذه الواقعة كان محل لوم، وقد شارك فى اللوم كثير من الإسرائيليين. بل إن الحكومة الاسرائيلية نفسها انضمت إلى اللائمين فى النهاية .

إن المغزى المهم ملاحظته ويبقى فى حاجة للشرح، ليس هو فى اهتمام الإعلام ولا فى توجيه اللوم، ولكنه فى الطريقة التى عولجت بها أخبار صبرا وشاتيلا، وأسلوب

تقديمها للجمهور. ذلك أن الصحافة والصحفيين ، وهم عادة أكثر المتشككين، قبلت ونشرت وبكل القبول والتصديق أخبارا ثبت فيما بعد أنها دعاية واضحة وصادرة من جهات مغرضة. ذلك فضلا عن استعمال لغة مغالية عنيفة فى عرض ما هو فى حقيقته خبر.

ومما يزيد فى الغرابة ويزيد فى وضوح التحيز هو استعمال عبارات تثير ذكريات النازية، عما حدث فى المذبحة، وعن غزو إسرائيل للبنان. فعبارات مثل : الحرب الخاطفة والحل النهائى والمجال الحيوى والإبادة العنصرية ، استعملت بكثرة وبتزايد حتى تتأكد المقارنة والمساواة أحيانا بالإلماح وأحيانا بالتصريح بالنازيين وتصرفاتهم فى أوروبا بعد قهرها واحتلالها.

وقد أصرت معظم التقارير على مهاجمة إسرائيل وحدها ، التى كان واضحا منذ البداية أنها لم تشترك فى أى أفعال، وحتى لم يكن إهمالها أو تغاضيها قد ثبت فى ذلك الوقت. وتغاضت وأهملت تلك التقارير أى ذكر لجنود الكتائب المسيحية اللبنانية الذين هم فى الحقيقة مرتكبو المذبحة. ولذلك فإن القارئ غير المدقق أو المشاهد العادى يسهل جدا إقناعه بأن هذه المذبحة وحيدة المثال فى التاريخ القريب للشرق الأوسط ، وأنها من فعل إسرائيل مباشرة ، وهما الأمران اللذان لا صحة لهما .

والواقع أن وسائل الإعلام نفسها ، وقد لاقت انتقادات مهنية فى معالجتها لحادث صبرا وشاتيلا ، شعرت بعدم ارتياح وانزعاج. ص١٤

وقد أعطاهم نشر تقرير اللجنة الحكومية الإسرائيلية برئاسة رئيس القضاة كاهان فرصة مراجعة أنفسهم وقفل باب هذا الموضوع بنفس التسرع واللامنطقية التى بدءوا بها اذاعة الخبر.

من الواضح أن هناك قوى اجتماعية ونفسية تعمل على تشكيل رد فعل الصحفيين للأخبار وفى تقييمهم لشعور الجماهير الدفينة، التى يبدو أنهم تصوروا أنهم اهتدوا إليها .

إن المقارنات صراحة وتلميحا بين إسرائيل والنازى تعكس تغييرا مهما ذا معنى فى شعور الغرب تجاه الاثنين . ففى ١٩ من يونية سنة ١٩٦٩ فى مؤتمر صحفى فى

لاهاى، شبه محمود رياض وزير خارجية مصر آنذاك تصرف إسرائيل فى الأراضى المحتلة، بتصرفات النازى فى احتلالهم لهولندا . فى ذلك الوقت كانت ذكرى الحرب ما زالت حاضرة فى الأذهان، بحيث لا تسمح بمرور مثل هذا التصريح دون تحد ومناقشة، مما أوقع الوزير المصرى فى حرج، اضطر بسببه لسحب تصريحه ذاك. منذ ذلك الوقت، نمت أجيال جديدة انمحت من مخيلاتها أفعال النازية، وأصبحت تاريخا وليست ذكريات. وكما أنه كان فى الستينيات يحدث أن يقارن تصرفات رجال الشرطة الإنجليزية والأمريكان بالشرطة الألمانية الجستابو، فإن مقارنة الإسرئيلين بالنازيين لها وجهان: أنه إذا كان الإسرائيليون ليسوا أحسن من النازيين ، فالنازيون اذن ليسوا أسوأ من الإسرائيليين.

هذا المفهوم ،برغم وضوح خطئه حتى فى أسوإ تصويرات تصرفات الإسرائيليين، أتى بالراحة إلى كثير من الذين طال تحملهم لعقدة الذنب تجاه الدور الذى قاموا به هم وعائلاتهم وأممهم وكنائسهم فى المشاركة فى جرائم هتلر ضد اليهود. سواء كانت هذه المشاركة بالتواطؤ أو بالتغاضى أو عدم الاهتمام.

هذا الشعور بالذنب كان أقوى ما يكون بين ورثة ومواطني النازيين والفاشيين ، والمتعاونين معهم. إن الأقطار الناطقة بالإنجليزية رحبت جدا بهذا المفهوم ، حيث كان الكثيرون منهم متضايقين من القيود التى فرضها عليهم القرف من والرفض للعداء ضد السامية، اللذان عما فى مرحلة ما بعد هتلر مباشرة . التقارير عن سوء تصرفات اسرائيل أدخلت عليهم الراحة وأتاحت لهم الفرص.

سؤال آخر صعب ينشأ عن حادثة القنبلة فى كنيس شارع COPERNIC فى باريس ، والهجمات الإرهابية بواسطة العرب أو الأوروبيين المعادين للسامية على ص١٥
المعابد اليهودية، والنوادى الرياضية، وعلى مطعم يهودى فى باريس فى ٩ من أغسطس سنة ١٩٨٢ حيث حدث انفجار قتل ستة وجرح اثنين وعشرين . لقد أصبح اليهود الذين يذهبون للعبادة أو الاجتماع بيهود آخرين فى مدن غربي أوروبا، معتادين على المنظر البغيض لقوات الشرطة وأحيانا العربات المصفحة التى توضع لحمايتهم من الاثنين : أعداء السامية وأعداء الصهيونية.

وحتى فى أمريكا لم يسلم الحال من هجوم على المعابد وعلى اليهود، ولو أن ذلك أقل حدوثا من أوروبا وذو طابع إجرامى وليس ذا طابع إرهابى.

إن المتحدثين العرب فى الغرب يحرصون دائما على القول بأن نزاعهم هو مع إسرائيل والعقيدة الصهيونية وليس مع اليهود أو الديانة اليهودية. إن ذلك مع الأسف لا يعضده ولا يقويه الهجمات التى تحدث على دور العبادة أو المراكز الاجتماعية فى أوروبا.

بل إنه، أى القول، يسقط تماما اذا نظرنا الى الكراهية العميقة التى تبدو فى الكتب العربية، والجرائد والمجلات وحتى فى الكتب المدرسية فى كثير من أنحاء العالم العربى.

إن تلك الكراهية ليست موجهة فقط إلى إسرائيل والصهيونية، بل إنها تشمل اليهود واليهودية، الذين يلعنون ويجرمون على مدى ثلاثة آلاف سنة من تاريخهم فى كتاب تلو كتاب، ومقالة بعد مقالة وخطاب بعد خطاب. إن لهجة هذه الكراهية ولغتها، واضحان فى كتاب نشر فى الإسكندرية سنة ١٩٥٠ لمؤلفه عبد الرحمن سامى عصمت بعنوان " الصهيونية والماسونية". حيث يقول المؤلف بعد ذكر أن اليهود يظلون يهودا حتى ولو اعتنقوا الإسلام أو المسيحية : « إن اليهود والصهيونية مثلهم كمثل شجرة شريرة جذورها فى نيويورك وفروعها تظل العالم أجمع ، أما أوراقها فهم اليهود. إنهم جميعا صغارا وكبارا ذكورا وإناثا بلا استثناء، أوراق الشجرة الشريرة وأشواكها السامة ذات السم الزعاف ». فى ذلك الوقت ، أى فى سنة ١٩٥٠، مثل هذا الهجوم كان نادرا ، ولكن فى السنوات التى تلته أصبح شيئا عاديا . وحتى الموضوعات ، مثل تاريخ التوراة أو الأدب العبرى ، التى تنشر فيما هو مفترض أنها منشورات علمية وثقافية ، حتى هذه الموضوعات تصبح أداة لمهاجمة اليهود.

وفى الجو السائد حاليا فى معظم الدول العربية فإنه من المستحيل كتابة أو نشر شىء مما قد يجلب العطف على اليهود السابقين منهم والحاليين . والمثال الصارخ على هذا أنه فى كل الكتابات الكثيرة الضخمة عن اليهود واليهودية والتاريخ اليهودى، يوجد غياب وإهمال تامان لأى تعاطف أو حتى ذكر دقيق لتدمير اليهود أيام هتلر. وحينما يذكر هؤلاء الكتاب المحرقة التى أقامها النازيون لليهود (الهولوكوست) ولو ذكرا عابرا، فإن صنيعهم باستثناءات قليلة جدا ، هو إنكار حدوث المحرقة ، او التقليل منها، أوإيجاد الأعذار لحدوثها ، والتخفيف مما حدث او تبرير ما وقع.

بـل ان بعـض الكـتاب يذكـرون المحـرقة عـلى أنهـا دلـيل عـلى شخصـية الـيهود المكروهة. إنها فى رأيهم جزاء حق على ما جنت أيديهم .

وفـى مصـر الـتى أبرمت معـاهدة صـلح مـع إسـرائيل، والتى تتبادل معها التمثيل الدبلوماسـى، فـإن فيلـم "خيار صوفى" منع من العرض لأنه " يلعب على نفس النغمات التى تروجها الصهيونية عن معاناة اليهود" ، كما قال الرقيب. ص١٦

أما التقرير الذى أخرجته اللجنة الإسرائيلية للتحقيق فى حوادث صبرا وشاتيلا، فإنـه نشـر بتفصيل فـى مجلـة المصـور الواسـعة الانتشـار بتاريخ ١٨ من فبراير سـنة ١٩٨٣ مـع مقدمـة مـن المحـرر قال فيها : « انه لأهمية هذا التقرير القصوى فان المجلة تنشره بالكامل».

والواقع أن ذلك لم يحدث، ولم يكن النشر بالكامل. فقد كان هناك أكثر من عشرين مناسبة تعمد فيها المحرر أو المترجم إغفال اى ذكر، أو تلميح الى الدور الذى قام به المسيحيون اللبنانيون الذين هم فعلا مخططو ومنفذو المذبحة. كما تعمد المحرر إغفال أى ذكر لأى جملة أو إشارة تدافع أو حتى تخفف عن تصرفات إسرائيل.

عن كل هذا وأكثر، فإن الإجابة التى يذكرها العرب والمتحدثون عنهم دائما: " إنهم لا يمكـن أن يكونـوا معـادين للسـامية حيث إنهـم هـم مـن الجـنس السـامى" ، إجابـة لا تثبت للمنطق. فمنطقهم هـذا يؤدى إلى الفكرة مـثلا بـأن كتاب " كفـاحى " لهتلرعندما ينشـر فـى بـرلين بالألمانية أو في " بونس ايريس " بالإسبانية فهو معاد للسـامية. أما عندما ينشر بالعربية فى القاهرة أو بيروت فهو لا يمكن أن يكون معاديا للسامية لأن اللغتين العربية والعبرية لغتان مـن أصـل واحـد سـامى. وهـذا لـيس بالطبع منطقا مقنعا.

فـى الشـرق الأوسـط وفـى الكتلة السـوفيتية، وفـى الغـرب، والآن أيضـا فـى دول العـالم الثالـث الـتى لم تكـن معنيـة بهـذه الأمـور، يوجـد فـى السـنوات الأخـيرة موجـة متزايدة مـن التعبير العلنـى وأحيانا مـن التصـرفات العنيفة الموجهة ضـد إسـرائيل والصهيونية واليهود.

هـؤلاء الذيـن يبدون هـذا العداء فـى الغرب أو الكتلة السـوفيتية، دائمـا يحـاولون التفرقة بـين شـيئين: فمـن جانـب، انتقاد الدولـة الإسـرائيلية وسياسـاتها أو معارضـة

الأيديولوجيات أى التنظيرات ونتائجها ، وهذا شيء مقبول. والجانب الآخر العداء للناس، أو في الغرب العداء للديانة ، وهو الأمر الذى لا يعترفون به فى معظم الأحيان ، بل إنهم يلعنونه ، وهو شيء غير مقبول. إن المستهدفين من هذا العداء والعنف الذى يصاحبه أحيانا، يجدون صعوبة فى التفريق بين هذين النوعين. إن اليهود فى الواقع يميلون إلى رفض هذه التفرقة ويَعُدُّونها نفاقا، ويعاملون كل هذه التصريحات العدائية والتصرفات العنيفة على أنها كراهية لليهود تعرف عادة بالعداء للسامية.

إن تعبيرهم، أى اليهود، عادة عن هذا الأمر يجرى على النحو التالى: إنهم يكرهون اليهود وسواء وجهوا قنابلهم أو لعناتهم إلى الإسرائيليين أو الصهيونيين أو ص١٧
حتى مجرد اليهود فإن تلك التفرقة لا تعنى أى شئ بل هى أمر واحد.

و الواقع أن المسألة ليست بهذه السهولة أو ليست بهذه البساطة . وفعلا فإنه يمكن أن توجد فروق كبيرة بين هذه الفئات الثلاث ، ولو أن التفرقة بين العداء لليهود و معارضة إسرائيل والصهيونية، ليس من الممكن دائما تحديدها أو وضع حدود فاصلة بينهما بشكل يقينى.

بل الواقع أن التعريفات : يهود ، واسرائيل ، وصهيونية ، هذه التعريفات نفسها صعبة التحديد، وتستخدم دائما بمعان متغيرة ومتداخلة. فمثلا ما معنى إسرائيل ؟ وما معنى الصهيونية ؟ بل من هم اليهود ؟ من بين هؤلاء الثلاثة فإن إسرائيل هى أسهل الكلمات فى التعريف. إنها اسم دولة انشئت فى ١٤ من مايو سنة ١٩٤٨ ، ومنذ ذلك الوقت صارت وتصرفت كباقى الدول فى البحث عن مصالحها ، وفى تطبيق سياسات تحقق تلك المصالح .

وهذه السياسات قد تكون جيدة وقد تكون سيئة، وقد تكون فعالة وقد تكون غير فعالة، متوافقة أو غير متوافقة مع مصالح الدول الأخرى، ومعارضة تلك السياسات ليست فى حد ذاتها علامة على الكراهية، تماما كمعارضة أى سياسات فى كل الدول الأخرى المتصارعة. إن تصارع المصالح القومية أو الدولية للدول قد ينتج كراهية وقد يتأثربها ولكنه فى حد ذاته ليس علامة على الكراهية .

أما تعريف الصهيونية فهو أمر أكثر صعوبة. الصهيونية فى الأصل تعبير عن تحليل عن أسباب معاناة اليهود وعن وضع وصفة لعلاج ذلك. تلك الوصفة أو تلك

الفكرة ، هى أن اليهود كانوا مضطهدين لأنهم غرباء فى كل مكان، وليس لهم وطن خاص بهم.

وعلاج ذلك هو إنشاء وطن قومى لليهود يصبح بالتدريج أو يتحول بالتدريج إلى دولة يهودية. إن ذلك سيوفر مأوى وملجأ لهؤلاء اليهود الذين يحتاجونه، ويوفر تشجيعا وتعضيدا ومعاونة عند الحاجة ، لهؤلاء الذين يفضلون العيش فى مكان آخر.

وإنه كذلك سينتج عن هذه الدولة، مكان أو مركز يستطيع اليهود فيه بلا خوف أو اضطهاد أو اشتباه أو شكوك أن ينموا ثقافتهم اليهودية وطريقتهم فى الحياة.

وأهم من هذا فإنها ستكون مكانا فى العالم يستطيع اليهود فيه أن يعيشوا كيهود غير معتمدين على تحمل أو تجمل أو النوايا الطيبة للآخرين، ولكن كأسياد فى بيتهم. وقد قال البعض بأن هذا الوطن القومى لليهود، يمكن إيجاده فى أى مكان فى العالم حيث يوجد فسحة من الأرض، وتعاون أو سماح من الحكومة المعنية. وفعلا قامت محاولات أو اتصالات فى أوغندا وأستراليا وصحراء سينا التابعة للولاية العثمانية وأمريكا الجنوبية بل وفى بقعة نائية من سيبيريا فى مقاطعة تدعى بيرو بيدجان على حدود منغوليا.

ولكن معظم تلك المحاولات لم تتعد مرحلة المناقشة ولم ينتج أى منها نتائج حقيقية أو أى نتائج .

كان هناك مكان واحد يحس فيه اليهود بأن لهم فيه حقا تاريخيا، وأن له جذبا عاطفيا وقويا يساعد على بذل الجهود المنتجة وعلى تحمل المعاناة فى سبيل تحقيق هذا الحلم.

هذا المكان هو أرض إسرائيل القديمة. وكان هناك الكثيرون، ومنهم اليهود، الذين رفضوا ذلك التشخيص وتلك المعالجة. وكان بعضهم وخصوصا اليهود المتدينين يرون فى الصهيونية خطأ دينيا وتدخلا للأفكار العلمانية القومية فى المجتمع اليهودى الدينى، ومحاولة إلحادية لإرغام الرب الذى منه وحده يمكن أن يأتى الخلاص. ومعارضون آخرون رأوا فى الصهيونية خطرا على مركز اليهود فى البلاد التى يقيمون فيها فعلا والتى يرجون أن يصبحوا من رعاياها، ومصدرا للنزاع مع عرب فلسطين ومن ورائهم العرب كلهم والعالم الإسلامى.

هذا الاعتبار الأخير كان مهما بالنسبة لتلك الحكومات والهيئات والشركات والأشخاص الذين لأسباب سياسية وإستراتيجية وتجارية أو مهنية يريدون أن يبقوا على علاقة طيبة بالعرب وبالعالم الإسلامى.

إن هؤلاء الذين لأى سبب عارضوا فكرة دولة إسرائيلية فى فلسطين ، حاولوا بكل الوسائل منع قيامها . وبنمو الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، وخصوصا بعد انتصار الحركة المعادية للسامية فى القارة الأوروبية فى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضى، وأيضا مع نشأة أو ولادة الدولة اليهودية فى سنة ١٩٤٨ ، فقد تغيرت قواعد اللعبة أو أسس المجادلة ، وعلى التحديد فإن هدف معارضة الدولة اليهودية قد تغير.

إن منع نشأة أو ولادة مثل هذه الدولة أمر، أما القضاء عليها بعد ولادتها فهو أمر آخر. وبعبارة مجازية أو بعبارة تصويرية فإن أولئك الذين عضدوا نشأة الفكرة إذا شبهناها ببدء الحمل طبعا توقفوا عن فكرة الإجهاض أى قتل الوليد فى بطن أمه.

وكذلك فإن اولئك الذين قد كانوا يتقبلون مسألة وأد الفكرة فى مهدها، توقفوا إذ وصلت المسألة إلى القتل. وحتى فى الاتحاد السوفيتى، فان قليلين كانوا مستعدين للذهاب إلى هذا البعد أى إلى قتل الدولة. إن المعارضين والناقدين لإسرائيل لعنوا وعارضوا سياساتها وحاولوا البحث عن طرق لتخفيض مساحتها، ولكنهم لم يفكروا اطلاقا ولم يعودوا يتكلمون عن حل الدولة اليهودية او إلقاء أهلها فى البحر.

إن الاستثناء الوحيد من هذا كان فى العالم العربى أو كان العالم العربى ومناصريه. فقد بقى واضحا أن المؤسسات الفلسطينية والمنظمات الفلسطينية والدول العربية أو الحكومات العربية التى تمالئهم تقصد ازالة الدولة اليهودية وإقامة دولة عربية فلسطينية فى مكانها .

إنه فى اللغة السياسية للعرب ومؤيديهم، فإن كلمة صهيونية الآن اكتسبت معنى ثانيا فوق معناها الأصلى. إنها كما تستعمل الآن بواسطة الكتاب العرب والمتحدثين باسمهم: الصهيونى هو الشخص الذى لا يقاسمهم الفكر بأن إسرائيل يجب القضاء عليها وذلك لإعادة العدالة إلى الشرق الأوسط.

وطبقا لهذا التعريف، فإنه شخصا حتى مثل شارل دى جول الرئيس السابق لفرنسا الذى هو من أعتى وأكثر السياسيين انتقادا لإسرائيل، وكذلك مثل زعماء الاتحاد السوفيتى يمكن وصفهم جميعا بأنهم صيهونيون لأنه ليس من أهدافهم ولا من سياساتهم إزالة إسرائيل.

وبالطبع طبقا لهذا التعريف، فان كلمة " صهيونى " تشمل كل اليهود، بل وحتى أولئك الذين كانوا لا يبالون أقامت إسرائيل أم لا ؟ أو حتى أولئك المعادين ص١٩
للصهيونية. فقط اليهود الذين يعلنون معارضتهم ليس فقط لسياسة إسرائيل بل ولوجودها هم الذين قد يستثنون من وصفهم بأنهم صهاينة. وفى وصف ثالث أوسع لا يوجد أى استثناء.

ففى بعض الكتابات السوفيتية والعربية وأيضا فى كتابات إسلامية : الصهيونى يعنى اليهودى. ولذلك فمعاداة الصهيونية تعنى معاداة اليهودية.

ومثال لذلك يعرض فى كتابات آية الله خومينى الزعيم الايرانى. فإن مقارنة بين نص أقوال الخومينى بالفارسية مع ترجمتها إلى الفرنسية، أظهر أن كلمة يهودي فى النص الفارسى ترجمت إلى صهيونى فى النص الفرنسى .

ما هو اليهودى اذن ؟ ان هناك أجوبة عديدة لهذا السؤال، بين اليهود وبين أعدائهم وبين أصدقائهم. إجابة واحدة عن ذلك السؤال يمكن اعتبارها إجابة ذات أساس صحيح أو أساس شرعى. طبقا للقانون الربانى أى قانون الربانة الحاخامات ، اليهودى هو الذى يولد لأم يهودية أو يتحول إلى اعتناق الديانة اليهودية .

ومثل هذا الشخص مهما تناسى ممارسة عقيدته أو طقوسها فإنه يبقى يهوديا. وطبقا لهذا القانون الحاخامى فانه يبقى يهوديا حتى ولو تحول إلى ديانة أخرى. وعند هذه النقطة فإن القانون الإسرائيلى يفترق عن القانونى الدينى الحاخامى ويعتبر أن تارك الديانة اليهودية لا يكون يهوديا . فمن الواضح أن ذلك التعريف ليس دينيا خالصا فقط بالضرورة ؛ لأنه من الواضح أن اليهودية ممكن أن تورث . وكذلك فواضح أنه ليس تعبيرا عنصريا، لأنه بالنسبة لمن يؤمنون بالعنصرية الآباء لا يقلون أهمية عن الأمهات . كما أن العرق أو الجنس لا يمكن أن يكتسب بالتحول إلى ديانة أو بنبذ ديانة أو بالإلحاد.

إن هذا التعريف المستخلص من الكتابات اليهودية القديمة - أى أن اليهودى هو من ولد ليهودية - هو الآن جزء من قانون دولة إسرائيل.

فى هذا المقام اليهودية فى الواقع تأخذ مكانا وسطا بين الفقه المسيحى الذى يقول إن كل الآدميين ومنهم أولاد المسيحيين مولودون وهم يحملون الخطيئة وأنهم يصبحون مسيحيين فقط بالتعميد. وكذلك الفقه الاسلامى الذى يؤمن بأن كل الأدميين في كل العالم يولدون مسلمين ولكن بعضهم يحال به إلى المسيحية أو اليهودية أو الوثنية بواسطة آبائهم.

أما بالنسبة للنازيين ، فإنه بالنسبة لأتباعهم أو هؤلاء المخدوعين المستغفلين منهم، اليهودية عرق أو جنس، وأن اليهود ومن تناسل منهم يبقون يهودا مهما كانت اللغة التى يتكلمونها، ومهما كانت الديانة التى يعترفون بها أو يتحولون إليها.

فاليهودية إذن شيء مختلف تماما عن الأشكال والعناصر التى قد تكون الشخصية والقومية وهى الأشكال والعناصر التى يمكن اعتناقها أو التخلى عنها.

وفى القانون اليهودى الحاخامى لا يوجد نصف يهودى أو ربع يهودى، فالإنسان إما يهودى وإما غير يهودى؛ فابن الأم اليهودية والذى ينجبه أب من غير اليهود هو يهودى. أما بالنسبة للنازيين ، فإن اليهودى الذى يتحول إلى المسيحية لا يزال يهوديا كاملا. وأب يهودى واحد ينتج نصف يهودى، وجد يهودى ينتج ربع يهودى . وبين هذين التعريفين ذلك التعريف اليهودى الحاخامى والتعريفات التى وضعها أشد أعداء اليهودية ،النازيين يوجد تغيرات وأطياف فى التعبيرات يمكن الكشف عنها، باللجوء إلى أوصاف عرقية، وثقافية، واجتماعية بل واقتصادية، وأيضا دينية وجنسية أى عرقية. ص٢٠

وكما أن التعريفات التى قد يختارها الإنسان للإسرائيلى أو الصهيونى أو اليهودى تختلف، فإنه كذلك تختلف أنواع العداء تجاههم . ويوجد اختلاط كبير فى هذا الموضوع سواء بين اليهود أوأعداء اليهود ، أوالغالبية العظمى من الناس الذين ليسوا بواحد من هؤلاء أى ليسوا بيهود أو أعداء لليهود.

وبشكل عام فإن هذا العداء يتخذ ثلاثة أشكال . أولها هو معاداة إسرائيل. وربما أيضا للحركة الصهيونية، والفكرة الصهيونية، وهى الفكرة التى أنشأتها وتحافظ

عليها أو تعمل على بقائها. الصهيونية هى فكرة وإسرائيل هى دولة محكومة بحكومة.

والشخص ذو النية البريئة قد يعارض أو يرفض تلك الفكرة الصهيونية، أو ينتقد سياسات تلك الحكومة ، بغير أن يكون باللزوم منبعثا عن الكراهية للسامية.

فليس من المعقول ولا من العدل أن كل معارضة للصهيونية أوانتقاد للسياسات و الأفعال الاسرائيلية عداء للسامية وكراهية لها. إن النزاع العربى الإسرائيلى نزاع سياسى، إنه صراع بين دول وشعوب على مسائل حيوية وليس مسألة كراهية واضطهاد. ليس من الضرورى إذن افتراض أن عداء العرب لإسرائيل هو نتيجة للعداء للسامية. فإن هناك اسبابا أخرى صحيحة يمكن بها تبرير ذلك العداء.

أما النوع الثانى ، وهو أكثر صعوبة فى توضيحه ووصفه ، فهو ذلك الذى يمكن أن نقول إنه هو الكره الاعتيادى الطبيعى المعتاد القائم على التعصب الذى يؤدى أحيانا إلى الاضطهاد. مواز لهذا ومماثل له الشكوك والتخوفات والكراهية التى توجه عادة إلى الجيران من قبيلة أخرى أو من جنس آخر أو من عقيدة أخرى أو من مكان آخر أو من الاتجاهات التى تتبناها الأغلبية أحيانا ضد الأقلية.

وهناك أمثلة عديدة لهذا فى كل أنحاء العالم فى الأقليات الذين هم عادة من جنس مغاير أو من جنس معاد أو من أصل معاد، وهذه الأمثلة تؤدي دورا فى المجال الاقتصادى وتثير الكراهية ، وحتى الاضطهاد نتيجة لذلك .

مثال ذلك اللبنانيون فى إفريقيا الغربية، والهنود فى إفريقيا الشرقية والصينيون فى جنوب شرقي آسيا.

فالعداء لليهود كثيرا ما يقوم على أسباب مماثلة بل يمكن القول بأن الشعور تجاه اليهود فى عالم متعدد العقائد والجنسيات وكما فى مجتمعات ما قبل الإسلام الحديث كان ذلك الشعور العدائى قائما أو ذلك الاتجاه العدائى قائما على تلك ص٢١
الاسباب ، وذلك قبل قيام ذلك العداء الصارخ للسامية الذى نبت من كتابات الأوروبيين .

أما النوع الثالث فهو العداء للسامية . إن كراهية اليهود لها أمثلة مقاربة أو مشابهة عديدة ومع ذلك فهى تكاد تكون فريدة فى استمرارها وفى امتدادها وفى تعمقها وفى قوتها مما أدى إلى الحل النهائى الذى أتى به هتلر.

والحالة الأخرى التى أحيانا تقارن بالمحرقة التى أقامها هتلر لليهود فى أوروبا . وهى مصير الأرمن فى تركيا . هى حالة مختلفة ومن نوع آخر. إن ملحوظة منسوبة إلى هتلر أو قول منسوب إلى هتلر يقول :« من يمكن أن يتكلم بعد اليوم عن تدمير الأرمن؟».

تلك المقولة تردد عادة لمحاولة إيجاد التشابه بين الحالتين : محرقة اليهود فى ألمانيا ومذبحة الأرمن فى تركيا . والواقع أنها تؤدى إلى فهم معاكس.

إن القول المنسوب إلى هتلر يقال إنه قاله فى خطاب سرى ألقاه بين القادة الألمان فى ٢٢ من أغسطس سنة ١٩٣٩ غداة غزو بولندا . ولم يكن للخطاب أى علاقة بمسألة إبادة اليهود التى وإن كانت قد بدأت بعد الغزو لم تكن بعد قد اتخذت كسياسية نازية أو قد اتخذت بعد كسياسة من القيادة النازية. وذلك فى مؤتمر عقد فى بلدة وان سى فى يناير ١٩٤٢ .

إن تلك الخطبة أشارت إلى غزو واحتلال بولندا وكانت جزءا من أوامر هتلر إلى قادته الحربيين لاستعمال أقصى القسوة فى معاملة ليس فقط القوات الحربية البولندية بل و الشعب البولندى. إن معاناة الأرمن كانت مأساة انسانية من الدرجة الأولى وما زال الأرمن يعانون من ذكراها كما ما زال اليهود يعانون من ذكرى المحرقة، ولكن اضطهاد الأرمن كان محدودا بوقت وبمكان.

كان ذلك فى الإمبراطورية العثمانية وفى العقدين الأخيرين من تاريخ تلك الإمبراطورية. وأهم من ذلك أنه كان نضالا وإن كان غير متعادل حول حزازات حقيقية ولم يكن متعلقا بعقيدة شيطانية أو كراهية سوداء كالتى كانت توجه ضد الساميين فى اوروبا وأحيانا أخرى فى أماكن أخرى.

إن مثالا أقرب إلى اضطهاد اليهود يمكن أن يكون فى استعباد أو سوء معاملة الأجناس السوداء فى إفريقيا بواسطة جيرانهم فى آسيا وشمالي إفريقيا وأوروبا وأخيرا الأمريكتين.

وأخيرا فإنهم مثل اليهود امتدت معاناتهم لأقطار عديدة وقارات عدة واستمرت لقرون عديدة واحتوت وقامت على التفرقة والعنف والحرمان من الحريات . وكالعداء للسامية فإن العداء للسود أحيانا يعبر عنه بكراهية عميقة تحاول أن تبرر نفسها بوسائل شبه علمية وشبه فلسفية.

إن السود فى أمريكا ـ كاليهود فى أوروبا المعادية للسامية ـ كانوا مقطوعين من أى اتصال طبيعى بالآدميين الآخرين. كانوا معزولين فى الواقع وفى القانون ، ص٢٢
ومجمعين فى أماكن غير صحية ولا إنسانية، استعار الأمريكان لوصفها ـ ولهم الحق ـ الاسم الذى استخدمه الأوروبيون اليهود وهو كلمة جيتو. وبرغم أنه لم يوجد مذابح فى أمريكا للسود ولا لليهود فإنه كان هناك انفجارات لعنف طائفى عرقى.

وفى الجنوب أى فى الجزء الجنوبى من أمريكا عاش السود طويلا فى خوف من أن تقتلهم جموع البيض أو أن يقتلوا بواسطة المجموعات الجاهلة فيما كان يسمى بالقتل بلا محاكمة. ولكن بالرغم من هذه التشابهات القوية فإنه يوجد فرق مهم ألا وهو ان معادي السامية كانوا وما زالوا وفى المحصلة النهائية يريدون إبادة وإزالة والقضاء تماما على أعدائهم الساميين.

إن كاره السود قد يكون فى كراهيته مساويا فى القسوة وفى السادية لكاره اليهود . ولكن قصده هو فى السيطرة، وفى الإهانة، وفى استعمال وفى استغلال الطرف الآخر الأسود وليس فى قتله وإبادته.

بل على العكس فإنه ينظر إلى الرجل الأسود على أنه ملكية لها قيمة، يمكن بيعها وشراؤها كأى مادة تباع وتشترى.

وكذلك ينمو ويولد كما تولد الماشية وقطعان الأغنام لاستعمالها .

أما اليهودى فبالعكس، فقد كان ينظر إليه لا على أساس أنه حيوان نافع يمكن أو يجب استئناسه و استخدامه فى العمل ولكن كحشرة ضارة يجب القضاء عليها .

إن هناك تاريخا طويلا من القسوة والوحشية في علاقات البيض بالسود ولكن لم يكن هناك محارق او مذابح أو معسكرات إعدام وإزالة .

هذا هو الفارق الجوهرى بين الحالتين اللتين هما التعبير الصارخ عن العنصرية فى القرنين التاسع عشر والعشرين. إن تعبير العداء للسامية غالبا ما يستخدم للدلالة على الكراهية العادية التى يكنها البعض لليهود أو حتى لوصف المعارضة الأيديولوجية الفكرية أو السياسية لإسرائيل أو الصهيونية .

ولما كان ذلك الفهم قد يؤدى الى تضليل المعنى فإننا سنختصر كتاباتنا فيما يلى أو إننا فيما يلى سنحدد كلامنا عن النوع السابق ذكره من اللاسامية، ألا وهو العداء والكره الخاص الموجه ضد اليهود، والذى يستمد قوته وعمقه من العلاقات التاريخية بين اليهودية والمسيحية، ومن الدور الذى خصت به المسيحية اليهود فى كتاباتهم وعقائدهم، وعلى الأخص فى معتقدات العامة فيما يتعلق بنشأة عقيدتهم.

يوجد فروق واضحة وجلية معنوية خلقية وسياسية بين ما ذكرناه من الأنواع الثلاثة هذه للكراهية.

ولكن إسرائيل دولة يهودية والصهيونية تصف وتحدد مشكلة يهودية والحل لها. ولذلك كان لابد من أن الأنواع الثلاثة من الكراهية السابق ذكرها كان لابد أن تختلط بل حتى وتمتزج فإنه يصعب تحديد دوافع و أهداف أولئك المشتركين فى هذه المسألة. فإنه لا شك من غير العدالة إطلاقا بل ومن الحمق ، أن نؤكد أن كل الناقدين والمعارضين للصهيونية أو لإسرائيل يدفعهم إلى ذلك العداء للسامية ، وكذلك فإنه من الخطإ أن ننكر ان العداء للصهيونية يمكن أن يسبغ فى بعض الأحوال رداء من الاحترام، على ما هو فى حقيقته إحساس بالكراهية والعداء، واللذين هما لا يسمح لهما فى العالم الحر فى الوقت الحاضر بالتصريح بهما علانية خصوصا من أى شخص قد يكون لديه تطلعات سياسية أو ثقافية.

إن العداء للسامية فى حالته القصوى أو فى أكثر حالاته قوة فى نظرته إلى التاريخ يصور اليهود على أنهم قوة شيطانية إبليسية، وأنهم أصل كل فساد فى هذا العالم من أقصى الزمن إلى الوقت الحاضر.

وفى هذه النظرة فإن اليهودى منغمس فى مؤامرة أبدية وعالمية لاختراق وتدمير وفى النهاية حكم العالم غير اليهودى. ومن أجل هذا فإن اليهودى يستخدم أنواعا مختلفة من الطرق والوسائل كلها وسائل منحطة ودنيئة . ص٢٣

وفى القرون الوسطى اتهم اليهود بأنهم يسممون الآبار، وينشرون الطاعون ، وأنهم يزاولون القتل فى طقوس دينية. وفى أزمنة أحدث اتهموا بأنهم هم الذين اخترعوا الرأسمالية والشيوعية. وأنهم يستخدمون الواحدة أو الأخرى او الاثنتين معا للاستيلاء على العالم.

وأقرب من هذا فإنهم يلامون على استعباد السود الذى حدث فى إفريقيا. وحديثا فإن بعض من يسمون أنفسهم بدعاة تأكيد تفوق المرأة أو بدعاة حقوق الجنس الناعم يتهمون اليهود بأنهم أنشأوا الديانة القائمة على عبادة الذكر وتسلط الذكر لأنهم أدخلوا عبادة ياهوفا أو الإله (فى عبارات اليهود) وخلعوا عن العرش الأم إلهة القدماء.

وحيث إنه من الواضح من المستحيل اعتقاد مثل هذه المعتقدات المتضادة على أى أساس عقلى يتمتع بأى دليل، فإن اعداء السامية يلجأون إلى وسيلة أخرى، وهى اختراع الحقائق أو إيجاد الشواهد التى تؤيدهم.

وأشهر تلك الاختراعات والتزويرات هو ما يعرف ببروتوكولات حكماء صهيون.

تلك التزويرات التى اخترعها البوليس السرى الروسى قسم إذاعة المعلومات المضللة، هذا الكتاب الذى اخترعه هؤلاء الأعوان السريون القيصريون، خدم كأساس لدعاية عداء للسامية فى العالم أجمع ، وقد استعمل ذلك الكتاب المزور البوليس القيصرى، والروس البيض فى الحرب الأهلية بينهم وبين الشيوعيين، والألمان والنازية، بل حكومات عربية ومنظمات وذلك فى دعايتهم ضد اليهودية .

وقد أدى البحث الوثائقى الدقيق إلى الكشف عن أن هذا الكتاب مزور ومخترع بأجمعه. وعلى ذلك فإنه رفض تماما فى العالم الحر، وأصبح لا يعنى به إلا تلك الدوائر التى يمكن وصفها بالجنون فى كراهيتها وبغضائها لليهود .

ولكن مع الأسف فإنه لم يكن لهذا البحث والتدقيق نفس الأثر فى بقية العالم. وبسبب تأثير هذا المحرر المزور الفائق الوقع والتأثير، وبتأثير الأفعال التى قام بها هؤلاء الذين يؤمنون به ، فإنه قد وصف وبحق بأنه تصريح بالإبادة العرقية. وبالنسبة لمعظم اليهود فإن الإبادة العرقية كانت هى أقسى الحادثات فى تاريخهم.

فبالنسبة للأجيال الأقدم من الإسرائيليين وبالنسبة للكثير من اليهود فى الأنحاء الأخرى، فإن هذه الإبادة العرقية هى تجربة أساسية فى حياتهم الشخصية وفى أفكارهم ومعتقداتهم. وإن أفكارهم وأفعالهم يحكمها هذا العلم بما حدث وبأنه يمكن أن يحدث مرة أخرى.

وبناء على ذلك التصميم على عدم السماح بأن يتكرر اطلاقا. إن أى فهم لليهود ولإسرائيل وللصهيونية والعداء للسامية لا يمكن أن يكون بغير الإشارة إلى ضحايا اليهود فى أوروبا النازية.

يكن هو رأى الاغلبية، ومعظم الإسرائيليين العقلاء تحققوا من أن حربهم هم أيضا للاستيلاء على كامل فلسطين كانت حربا لايمكن كسبها، وأنه من العقل أن يقبلوا التقسيم. إن وقت الحقيقة للإسرائيليين كان هو الانتفاضة. إن تلك الانتفاضة أمكن احتواؤها بعد نضال طويل مرير، تبين خلاله وأصبح من الواضح، أن الاحتفاظ بالحكم الإسرائيلي على المناطق الفلسطينية يمكن فقط إتمامه أو انجازه، حتى لو أمكن، بدفع ثمن أخلاقى ومادى غير مقبول، يتضمن تحويل الطبيعة الأصيلة للحكومة الإسرائيلية والمجتمع الإسرائيلى. إن مثالا دراماتيكيا على ما يمكن أن يعنى هذا التحول حدث بمقتل رئيس حكومة إسرائيل إسحاق رابين بواسطة متطرف إسرائيلى.

إن المعارضة العربية لطريق السلام من كما هو أو للطريقة التى يقاد بها تتضمن ثلاثة اطرزة رئيسة مختلفة.

الأول هو في أساسه استمرار لما كان من قبل، ألا وهو استمرار أيديولوجية السياسة المعادية ضد الصهيونية والحرب السياسية ضد دولة إسرائيل. إن هذه المعارضة الأيديولوجية أو السياسية كما هى لا تقوم على التعصب، ولكن كما كان الحال من قبل فإنها تؤثر وتتأثر بالتعصب. إن ذلك النوع من المعارضة والتعصب ص٢٦٣
المصاحب لها مستمر في الازدهار وحتى في الانتشار بالرغم منها، وفى بعض الدوائر بسبب طريق السلام. إنه زاد من حدته بعض أفعال الحكومة الإسرائيلية الجديدة وأكثر من ذلك تصريحات بعض تابعيها. المتطرفون الإسرائيليون لا يمكن في الواقع لومهم كأنهم متسببون في الدعاية المضادة للسامية في الإعلام المصرى والعربى، والذى بلغ حدودا عالية المستوى من الفحش قبل تغير الحكومة والسياسة في إسرائيل. ولكنهم مع ذلك حطموا أو اساءوا إلى جهود بعض العرب ذوى النوايا الحسنة لمعارضة تلك الحملات.

ومثال على التقارير والتعليقات على الأخبار يمكن أن يرى في القنابل أو التفجير الانتحارى في رامات جان في ٢٤ يونية سنة ١٩٩٥. إن ذلك لعن وأدين بواسطة الفلسطينين المسئولين وغيرهم من القادة العرب. ولكنها- تلك الحادثة – أشيد بها من كثيرين آخرين من الوسط واليسار وكذلك من الصحافة الأصولية. إن مقالا

رئيسيا في المجلة الأردنية الأسبوعية اليسارية وعنوانها "المجد" في ٣١ يوليو سنة ١٩٩٥ صادر من رئيس تحرير المجلة "فهد الريماوى"، يشيد ببطولة عضو حماس المفجر الانتحارى "الذى أرسل سبعا من المستوطنين اليهود إلى الجحيم وثلاثين آخرين إلى عنابر الجرحى". ثم يمضى لكى يلعن كل أولئك الذين أدانوا ذلك الهجوم على أنهم منافقون أو اسوأ من هذا. إن رامات جان قريبة من تل أبيب وهى جزء من إسرائيل منذ تأسيس الدولة. إن وصف سكانها بأنهم مستوطنون صهيونيون هو الشيء الذى يدعو إلى الملاحظة باهتمام. إن الاصولي الأردنى "زياد أبو غنيمة "في مجلة أسبوعية صادرة في ٢٩ يولية سنة ١٩٩٥ واسمها "شيهان" يشجب بعبارات جارحة "هؤلاء الذين يذرفون سيولا من الدموع حزنا على ذلك الدم اليهودى القذر بينما يحبسون دموعهم حينما الدم الفلسطينى أو اللبنانى يراق على أيدى اليهود لعنة الله عليهم".

وأكثر خطرا من مقاومة المحافظين القدامى لطريق السلام، هو المعارضة الجديدة الناشطة والناشئة عن هذا الطريق نفسه، والخوف من أن القوة التى أظهرتها إسرائيل في ميدان القتال يمكن ان تظهر بطريقة متساوية أو حتى أكبر في النشاطات المقترنة عادة أو المرتبطة تقليديا باليهود في المصنع وفى بيوت المال وفى السوق. إن هذه المخاوف زادت حدتها بسبب فجاجة إسرائيلية ونقص في فهم المجاملات والحساسيات القائمة في مجتمعات الشرق الأوسط. طبقا لهذا الفهم فإن إسرائيل غيرت من تكتيكاتها. فهى الآن قد تحولت من الوسائل أو الطرق الحربية إلى الوسائل السلمية لتنفذ مخططاتها الجهنمية لاختراق والتحكم والسيطرة على العالم العربى. إن البعض يرى تهديدا أسود في كل محاولة إسرائيلية للتفاهم والتعاون. إن ص٢٦٤
اتساع أو نمو الصلات التجارية معناها الاستغلال الاقتصادى والتبعية والتحكم، وتنمية العلاقات الثقافية والحضارية معناه التسلل وهدم الحضارة أو الثقافة العربية الإسلامية والبحث أو الرغبة في إقامة علاقات سياسية ليس إلا مقدمة للسيطرة الإمبريالية. إن هذه الخيالات على ما يبدو من سخافتها حتى للملاحظ أو المراقب العاقل مع ذلك تتمتع بتعضيد واسع في الإعلام العربى وعلى الخصوص في مصر. إن بالنسبة إلى معتقدى وجهة النظر هذه، العداء للسامية الأوروبى يوفر خزانا غنيا من النغمات والدوافع، من الكتابات والتصويرات الخلقية النمطية، تلك الذخيرة التى يمكن استخدامها والإضافة اليها أو التوسع فيها.

إن أمثلة قليلة تكفى لبيان ذلك. إن شيمون بيريز في كتابه "الشرق الأوسط الجديد" المحتوى على وجهة نظر مثالية عن السلام المستقبلي والتعاون المستقبلي أو السلامى الهادئ بين إسرائيل والدول العربية من أجل الإصلاحات الاقتصادية والتقدم أو الرقى الحضارى هذا الكتاب ظهر في كثير من الترجمات العربية. إن الغرض من هذه الترجمات يبدو في مقدمة واحد منها نشر في القاهرة في الجريدة شبه الرسمية الأهرام والتى تقول " حينما اكتشفت بروتوكولات حكماء صهيون منذ حوالى مائتى عام بواسطة امرأة فرنسية ونشرت في لغات عديدة منها العربية، فإن المؤسسة الدولية الصهيونية حاولت جهدها نفى هذه المؤامرة. إنهم حتى ادعوا أنها مفبركة، وحاولوا الحصول على كل النسخ من السوق حتى يمنعوها من أن تقرأ. والآن إنه شيمون بيريز بالتحديد هو الذى يأتى بالدليل الحاسم على صحة تلك البروتوكولات. إن كتابه يؤكد بشكل واضح لايمكن نكرانه أن البروتوكولات كانت صحيحة حقا. إن كتاب بيريز لهو خطوة أخرى في تنفيذ تلك المخططات الخطرة".

إن البروتوكولات ما زالت باقية كمصدر ليس فقط للدعاية بل حتى للدراسات الأكاديمية. على ذلك وطبقا لمقالة منشورة في المجلة المصرية "آخر ساعة" في نوفمبر سنة ١٩٩٦، فإن بحثا "علميا مهما" يبحث دور اليهود الاقتصادى في مصر في النصف الأول من القرن العشرين أعطى درجة الماجيستير من جامعة الإسكندرية. ومن الوصف الذى نشر فإنه من الواضح أن كاتب تلك الرسالة اعتمد اعتمادا كبيرا على البروتوكولات وعلى طريقة البحث الذى ينتج عنها. البروتوكولات تكون أيضا الأساس لمقابلة نشرت في المجلة المشهورة "المصور" في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٩٦ . إن المقال يفتتح بتقرير أو بتصريح من الصحفى السائل المدير للمقابلة يقدم البروتوكولات على أنها وثيقة تاريخية صحيحة ثم يمضى إلى سؤال البابا شنودة رئيس الكنيسة القبطية. إن تعليقات البطريرك على اليهود واليهودية يبدو أنها مبنية على معلومات قدمها اليه الصحفى السائل ومستمدة من البروتوكولات ومن غيرها من التزويرات الشائعة المعادية للسامية وشبه التلمودية.

إن الحجة " أننا لايمكن أن نكون معادين للسامية لأننا نحن أنفسنا ساميون" مازال يمكن سماعها في الدول العربية، وليس بالطبع في تركيا أو إيران. ولكن بعضا من المتحدثين الأكثر ثقافة ونموا فكريا أصبحوا على وعى بأنه بالنسبة للأجانب فإن ص٢٦٥

تلك الحجة تبدو إما أنها سخيفة أو غبية. ومع ذلك فإن هناك مجهودا جادا وإن لم يكن دائما متواصلا مضطردا للاحتفاظ بالتفرقة بين العداء لليهود لإسرائيل والصهيونية والعداء لليهود كيهود. إن الناطقين بلسان الحكومة الإيرانية ينكرون أي عداء للسامية، وهم عادة يحاذرون من استعمال عبارات معادية للسامية، ويعلنون استعدادهم للتعايش مع اليهود وطبعا ذلك ضمن الحدود التى تنص عليها الشريعة. ان ذلك مع هذا لم يمنعهم من اعتناق واحتضان البروتوكولات. إن هذه البروتوكولات كثيرا ما يعاد طبعها في إيران، وفى سنة ١٩٩٥ نشرت كمسلسل في الجريدة اليومية "اطلاعات" في أكثر من مائة وخمسين جزءا "لكى لا ننسى". إن نسخا من البروتوكولات بلغات عديدة توزع عالميا من خلال الشبكات الإيرانية.

إن بعض الاتهامات اتهامات جنسية. إن الاسرائيليين متهمون بإصابة البنات بمرض نقص المناعة والزهرى ثم إرسالهن إلى مصر لنشر تلك الامراض. إنهم أيضا متهمون بأنهم مدوا النساء المصريات بلبان مثير للغريزة الجنسية والذى يدفع إلى حالة جنونية من الرغبة الجنسية، وفى نفس الوقت يبيعون فاكهة معالجة هرمونيا تقتل الحيوانات المنوية الذكرية. ان ذلك جزء من سلسلة من الهجوم على الخبرات والمنتجات الزراعية الإسرائيلية، وهى المجال الذى حدث فيه تعاون حقيقى مع مصر. وروايات أخرى تتهم الإسرائيليين أو ببساطة اليهود بأنهم يمدون الفلاحين المصريين ببذور مسممة ودجاج حامل للأوبئة "كقنبلة موقوتة" نشر ذلك في (الشعب في ١٤ مارس ١٩٩٧) أو إنهم ينشرون السرطان بين المصريين وغيرهم من العرب وذلك باختراع ونشر نبات خيار سرطانى "وشامبوهات" أو صابون غسيل الشعر، وإنهم يشجعون استعمال المخدرات وعبادة الشيطان، وإنهم ينظمون حملات لتقنين الشذوذ الجنسى حتى يهدم المجتمع المصرى.

إن جريدة سورية(الثورة في ٤ أكتوبر سنة ١٩٩٥) ادعت أن عرفات وقع سلاما مع إسرائيل لأنه هو نفسه يهودى. وكل هذا مع ذلك لايمكن وصفه بالعداء للسامية في المعنى الدقيق للكلمة. ولكنه يمثل النطاق العاطفى والفكرى الذى تقوم فيه الاتهامات المعادية للسامية والذى بواسطته يمكن نشرها بسرعة وتصديقها بسهولة.

إن بعض الاتهامات هى محاولات نقل أو إسقاط. فعلى سبيل المثال القول بأن الاسرائيليين حاخاماتهم يقولون لهم إنهم إذا قتلوا أثناء قتالهم الفلسطينيين فإنهم

سيذهبون فورا إلى الجنة. والبعض الآخر هى اتهامات تقليدية ضد اليهود، مبنية على مقاطع معروفة من القرآن والحديث، وبعضها مقترض أو متبنى من الترسانة المعتادة ص٢٦٦ من العداء للسامية الأوروبى. وهى تمثل في تزايد مجموعة من الأمر الثانى والثالث .

إن أقوى الحجج وأكثرها جدية وإصرارا في معارضة طريق السلام، يقدم باسم الإسلام، وخصوصا من حكومة إيران ووكالاتها المختلفة، ومن الأحزاب والمنظمات الإسلامية الأخرى. هذه المعارضة تتمتع بميزة كبيرة هى أنها قائمة على فكرة أيديولوجية مترابطة ومنطقية، وأنها تستخدم لغة معتادة أو متعارفة تجذب العواطف العميقة الجذور. ان ذلك يعطى تلك الحجج أو تلك المجادلات المبنية على الإسلام قوة عظيمة في الاقناع أكثر من غيرها المبنية على القومية والجنس أوالعنصرية. ومع ذلك فإن الناطقين بلسان هذه الحركات الإسلامية لا يتورعون عن استخدام التبريرات العنصرية وعلى الخصوص لايتورعون عن أن يستخدموا المنابع الغنية للكراهية التى يوفرها العداء للسامية من الطراز الأوروبى. ان النغمات المعادية للسامية المعتادة أصبحت شيئا عاديا أو شيئا مألوفا في دعاية الحركات العربية الإسلامية في حزب الله وحماس، وفى تصريحات الوكالات المختلفة لحكومة إيران، وحتى في بعض الجرائد والمطبوعات أو المنشورات لحزب الإسلام التركى، وهو العضو المهم في الائتلاف الحاكم من سنة ١٩٩٦ : ١٩٩٧ .

إن معظم هذه الاتهامات هى شيء معتاد ويمكن إرجاعها إلى مصادر أوروبية، واتهامات أخرى تثور أو تولد من الأحوال المحلية. وعلى ذلك فبالنسبة للأتراك المعادين للسامية فإن أفعال اليهود الضارة تشمل التسبب في سقوط الإمبراطورية العثمانية والاضطرابات الحديثة في بوسنيا. وفى إيران فإن العقوبات الأمريكية وما نتج عنها من صعوبات اقتصادية تنسب إلى النفوذ اليهودى الشرير في واشنطن.

إن العداء للسامية الأوروبى في شكليه الدينى والعنصرى، هو في أساسه معاد أو غريب عن التقاليد الإسلامية والحضارة ووسائل التفكير. ولكن ولدرجة مدهشة، فإن أفكار، وكتابات، وحتى أكثر الاختراعات فجاجة التى اخترعها النازيون ومن سبقهم أصبحت يمكن القول بأنها تأسلمت وأدمجت أو أدخلت في صميم الفكر الإسلامى. إن أهم تلك النغمات أوالخطوط، ألا وهى مسألة البروتوكولات، ونصوص التلمود المحرقة، وكراهية الجنس البشرى وبقية نظريات المؤامرة والماسونية، وتسميم الآبار

والتآمر أو التخطيط لحكم العالم كلها موجودة، بل إنها أعطيت شكلا إسلاميا وحتى أعطيت مسحة قرآنية. وعلى ذلك، فإن الاتهام الإسلامي الكلاسيكي، بأن العهد القديم والعهد الجديد قد سقطت حجتاهما لأن اليهود والمسيحيين فبركوا أو زوروا الوحي الذي أنزل عليهم ـ ذلك الاتهام أعطى صورة أو منحى جديدا أو أضيفت إليه زاوية جديدة، وهي أن التوراة في شكلها الحالي ليست صحيحة، ولكنها صورة مشوهة وملوثة بواسطة اليهود وذلك حتى يظهروا أنفسهم بأنهم شعب الله المختار و أن فلسطين مخصصة لهم. إن كثيرا من المسائل الواردة في الأخبار كفضيحة الذهب السويسرية (تلك الفضيحة المتعلقة بأنهم جمعوها من ضحايا النازى) وتعيين مادلين أولبرايت كوزيرة لخارجية أمريكا وهي يهودية بالميلاد وإن لم يكن بالعقيدة، وحتى انهيار بنك BCCI ، فإنها كلها تعطى مسحة معادية للسامية. إن الخطط والمؤامرات الدولية اليهودية ضد الجنس الإنسانى على العموم، وضد الإسلام، والعرب على الخصوص، أصبحت شيئا متداولا معتادا عليه. ففى مقالة نشرت في ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٩٦ في الجريدة المصرية "الاتحاد" كتب داعية من جامعة الأزهر يشرح لماذا هو يكره اليهود. وباختصار لأنهم " أردأ الأعداء للمسلمين، وليس عندهم أي مستويات أخلاقية، وعلى العكس فإنهم قد اختاروا الشر والإجرام". وينهى المقالة "إننى أكره اليهود حتى أنال مكافأتى من الرب". ص٢٦٧

واحد من جرائم إسرائيل والصهيونية في تلك الكتابات هى أنهما رأس جسر أو أداة من أدوات الأمريكان أو أكثر عمومية أداة من أدوات الاختراق الغربى. وبالنسبة لهؤلاء، فأمريكا هى الشيطان الكبير، وإسرائيل هى الشيطان الصغير وهى كرأس حربة للفساد الغربى كيان خطر. ونظرة أخرى تقوم في ذلك الطراز الأوروبى من المعادين للسامية. فبالنسبة لهؤلاء فإن أمريكا هى التى أداة من أدوات إسرائيل وليس العكس. إن تلك المجادلة مستندة إلى حد بعيد على مستندات من الطراز النازى أو توثيق نازي أصلى. إنه في كثير من الأدب الذى تنتجه الجماعات الإسلامية، فإن العدو لم يعد يحدد بأنه الإسرائيلي أو الصهيونى. إنه ببساطة اليهودى، وشره شيء متوطن غريزى يرجع إلى العهود القديمة السحيقة.

إن طريقة تشترك فيها كل تلك الأنواع من الدعاية هى إعادة كتابة أو محو الماضى وعلىالخصوص إزالة أي شيء يمكن أن يثير التعاطف أو يوجد الاحترام لليهود.

ونغمة معتادة في هذا هي إنكار وقوع المحرقة. فالمحرقة إما لم تحدث، وإن كانت حدثت فإنها كانت على نطاق صغير، والبعض يضيف أن اليهود هم الذين جلبوها على أنفسهم.

والصهيونيون كانوا متعاونين ومن ثم هم خلفاء للنازية. إن هذه الصورة المدهشة للتاريخ تحوز قبولا عربيا متزايدا ومثال ذلك الاستقبال الحافل لروجيه جارودى. وهو ص٢٦٨
فرنسي شيوعى سابق تحول للاسلام ونشر كتابا عنوانه "أساطير السياسة الإسرائيلية".

إنها في رأيه ثلاثة : الأسطورة الدينية بأنهم شعب الله المختار والأرض الموعودة، وأسطورة المحرقة لإزالة اليهود وعداء الصهيونية للفاشية، والأسطورة الجديدة ألا وهى الأعجوبة أو المعجزة الإسرائيلية الحديثة والتىهى في الواقع قائمة على الأموال التى يجمعها أعضاء اللوبى اليهودى. إن مصادره تتضمن المعتذرين عن هتلر، والإسرائيليين في حقبة ما بعد ظهور الصهيونية المرتدين عن الأفكار الصهيونية والواضعين لتفسيرات جديدة للأحوال اليهودية، والأوروبيين المعاصرين المعادين لأمريكا. إن جولته الشرق أوسطية في صيف سنة ١٩٩٦ كانت انتصارا كبيرا، ففى لبنان قابله رئيس الحكومة ووزير التعليم، وفى سوريا قابله نائب الرئيس وكثير من الوزراء، وفى كلا البلدين فإنه أعطى محاضرات أعلن عنها بتوسع، ومقابلات صحفية وفضلا عن الترحيب الكبير به من الهيئات الأدبية والثقافية. وفى الأردن ومصر فإنه وإن لم يستقبل استقبالا رسميا فإنه رحب به بنفس الترحيب الحار ان لم يزد من الدوائر الادبية. إنه دعى إلى القاهرة من الاتحاد العربى للفنانين، الذى ترعاه الحكومة، مؤيدا أو متعاونا مع اتحاد الكتاب المصريين، الذين انتخبوه عضوا شرفيا – وهو أول عضو شرفى منذ أسس الاتحاد منذ أكثر من عشرين عاما. وبين التشريفات الكثيرة، فإنه أعطى جائزة "الكتاب المصريين". ورئيس تحرير جريدة الأهرام شبه الرسمية أضفى عليه جائزة صحفية اعترافا بالجو النظيف الذى أدخله في نقاش المسألة الإسرائيلية. ومع ذلك فإن الترحيب بجارودى لم يكن جماعيا. فبعض الأصوليين بينما هم كانوا موافقين علىآرائه بالنسبة لإسرائيل فإنهم تشككوا في فهمه للإسلام. وفى مراكش فإنه احتفل به بواسطة بعض الجرائد ولكن مناسبات ظهوره العامة ألغيت. "الجامعات" كما قال وزير التعليم العالى "لن تفتح أبوابها

للمعادين للسامية". ومن الغريب أنه في مايو سنة ١٩٩٧ دعى السيد جارودى إلى أن يكتب سلسلة من المقالات في مجلة أسبوعية عربية تنشر في لندن بواسطة القسم العربى من محطة الإذاعة البى بى سى البريطانية القسم العربى.

إن انكار أو التقليل من أهمية المحرقة يسهل شيوع نغمة أخرى محببة -ألا وهى أن اليهود لم يكونوا في الواقع ضحايا النازية بل كانوا متعاونين مع النازى وهم الآن يستمرون في إحياء تراثهم. إن استخدام كلمة نازى كتعبير عن الهجاء في العالم العربى تبدأ أو يرجع تاريخها إلى بداية النفوذ السوفيتى في منتصف الخمسينيات ولكن قبل ذلك كان يمكن النظر إليها على أنها مدحة. والرسوم الكاريكاتيرية التى تصور الإسرئيلى واليهود الآخرين مرتدين اللباس النازى والصليب المعقوف أصبحت الآن شيئا معتادا عليه. ان ذلك يكمل الصورة التى نشأت في الأيام النازية وهى اليهودى ذو الانف الكبير المعقوف والأسنان التى تقطر بالدماء. إن ذكرى كل من الضحايا اليهود والمعجبين العرب بالرايخ الثالث قد تم محوها نهائيا. وللاحتفاظ بهذا التفسير الخاص للتاريخ فإن بعض القدر من التحكم ضروريا، ويمتد حتى إلى وسائل التسلية. فمثلا "قائمة شندلر" وهو فيلم يصور معاناة اليهود تحت الحكم النازى، ممنوع في الدول العربية . وحتى "يوم الاستقلال" وهو فيلم آخر لاعلاقة له لا بالنظام النازى ولا بالشرق الأوسط أدين لانه يحتوى على بطل يهودى وهذا شيء غير مقبول. إنه ووفق على عرضه في لبنان فقط بعد قيام الرقابة بحذف كل دليل على يهودية البطل -كالطاقية والصلوات العبرية، وظهور الإسرائيليين والعرب يعملون جنبا إلى جنب في مراكز أو مواقع صحراوية. وفى نوفمبر سنة ١٩٩٦ ضابط الاتصال الصحافى لحزب الله، وضح اعتراضه على الفيلم بقوله : " هذا الفيلم يلمع صورة اليهود ويقدمهم على أنهم ناس آدميون وهذه صورة خاطئة عنهم".

إن كتابة التاريخ من جديد تمتد وحتى إلى التاريخ القديم. فالمتحف التاريخى في عمان مثلا يحكى من خلال أشياء ومخطوطات تاريخ كل الشعوب القديمة في المنطقة ص٢٦٩ باستثناء واحد ألا وهم الملوك وأنبياء إسرائيل القديمة، الذين هم غائبون تماما. إننى تمكنت من أن أجد فقط إشارات ثلاثا الأولى تشرح الكتابات على وثيقة قديمة شكر الرب "شيموش" على تخليصه من الإسرائيليين. ذلك هو النص الإنجليزى أما النص العربى فيقرأ "تخليصه من الاضطهاد اليهودى".

والإشارة الثانية تظهر في زاوية تحتوى على لفائف البحر الميت تنتمى إلى " فصيل يهودى" أو طائفة يهودية. والثالثة هى إشارة إلى "الثوار اليهود" هاسمونين الذين أقاموا حكمهم في فلسطين والجزء الشمالى من الأردن وأن كل المدن اليونانية رحبت بالجيش الرومانى بقيادة الجنرال بومبيى كمحرر من الحكم اليهودى"

وحتى هذه الإشارات القليلة غائبة عن الكتب المدرسية المستخدمة في المدارس التى هى تحت السلطة الفلسطينية. فبالنسبة لهم تاريخ فلسطين يبدأ بالكنعانيين المعربين بأثر رجعي ويقفز منهم إلى الفتح العربى في القرن السابع الميلادى وناسيا أو متناسيا إطلاقا العهد القديم أهاليه وتاريخه.

إن الزيارات لمحلات الكتب العربية أو الكتب الدينية في تركيا تكشف عن نطاق واسع من الأدب المعادى للسامية من أنواع كثيرة. أما ما ينقص فهو أي نوع من تصحيح تلك المفاهيم. إن القارئ العربى الذى يبحث عن الاسترشاد في أي من هذه المواضيع كالتاريخ اليهودى أو الديانة اليهودية أو الفكر والأدب اليهودى لن يجد شيئا.

إنه هناك بعض المواد عن إسرائيل الحديثة وأحسنها هى التى أنتجها المركز الفلسطينى للأبحاث السابق في بيروت، فهى معقولة أو تلتزم الحقيقة إلى حد كبير. ولكن كل ما هو ممكن الحصول عليه هو دعاية مفضوحة وفاضحة أو مستخدمة كذلك. إن الترجمات من العبرية قليلة وتقع أساسا في فئات ثلاث :

١. حكايات عن التجسس الإسرائيلي.
٢. مذكرات قادة اسرائيليين ومنهم رابين، وبيريز، ونتنياهو، مصحوبة بمقدمات شارحة وتعليقات.
٣. كتابات من معادين للصهيونية ومعادين لإسرائيل من اليهود.

إن السلام شيء يتفاوض عليه ويوقع عليه بين الحكومات، ولكنه سيبقى سلاما باردا رسميا لا يعنى إلا إيقاف العمليات الحربية، وذلك حتى يتم السلام بين الشعوب. وما دامت الصرخات عالية من الثورة، ومن الغضب، والكراهية باقية على انها هى الشكل الطبيعى للاتصالات فإن السلام بين الشعوب غير محتمل أن يتقدم. ولكن هناك بعض العلامات على التحسن وعلى بداءات للحوار. فرجال السياسة،

والعسكريون ورجال الأعمال أصبحوا على اتصال أو كانوا على اتصال بنظرائهم من الإسرائيليين، وبعض تلك الاتصالات بقيت برغم تغير الحكومة في إسرائيل. ولكن المثقفين أثبتوا أنهم أكثر عنادا، ولكن حتى بينهم هناك بعض علامات من التغير. ص٢٧٠ فبعض الأرواح الشجاعة اقتحمت إدانات وهجوم زملائهم الأكثر قسوة والأكثر جمودا لكى يقابلوا علانية الإسرائيليين، وحتى زيارة إسرائيل في مناسبات قليلة.

إن حادثة في ربيع سنة ١٩٩٧ أثارت خواطر أو ذكريات مقلقة لشطحات مجنونة للشرطى سليمان خاطر في سنة ١٩٨٥. وفى الوقت نفسه فإنها قدمت صورة عكسية مشجعة. ففى ١٣ مارس سنة ١٩٩٧ جندى أردنى اسمه أحمد داقمصا، بدأ في إطلاق النار عشوائيا على رحلة لمدرسة بنات إسرائيلية، حيث قتل سبع بنات وجرح كثيرات أخريات قبل أن يتغلب عليه بواسطة زملائه. وبعد أيام قليلة فإن الملك حسين في بادرة من الأسف والعطف، عبر إلى إسرائيل وزار بنفسه معزيا العائلات التى فقدت بناتها. إن رد الفعل بين الناس كان مختلطا. البعض انضم إلى الإسرائيليين في الإشادة بذلك العمل الشجاع الإنسانى الكريم. والآخرون بينما لعنوا وأدانوا القتل فكروا أن رد فعل الملك كان مبالغا فيه. وآخرون من ناحية أخرى جعلوا من بيت القاتل مقصدا للحجيج. ولكن لم يكن هناك أي شيء يماثل الاندفاع في التأييد الذى لوهلة جعل من سليمان خاطر بطلا وطنيا شعبيا وحتى ثقافيا وذلك في مصر. سليمان خاطر أبلغ عنه أنه انتحر في سجنه في مصر. أما أحمد داقمصا فإنه حوكم بمحكمة عسكرية في الأردن وحكم عليه بالسجن المؤبد. وكما حدث من قبل فإن الآراء انقسمت. البعض وجد الحكم خفيفا، والبعض وجد الحكم قاسيا، والبعض قال إنه كان يجب تكريمه لا معاقبته.

إن الاتصال القريب بين المجتمعين يمكن أن ينتج نتائج ملفتة للنظر وربما أيضا ثمينة. إن إسرائيل بكل أخطائها، هى مجتمع ديموقراطى مفتوح. إن مليونا من العرب هم رعايا إسرائيليون ومليونين من الفلسطينيين عاشوا أو يعيشون تحت الحكم الإسرائيلى.

بالرغم من أن ذلك الحكم كان في أغلب الأحوال قاسيا وتحكميا، فإنه كان في مجمله مفيدا وذلك قياسا على المستويات المعهودة في المنطقة. إن حاثتين متعاكستين أو متفارقتين متعارضتين يظهران أو يصوران اتجاها ممكنا لحدوث التغيير. في

خلال الانتفاضة حدث أن طفلا أو ولدا عربيا صغيرا كسر رسغه بعصا جندى إسرائيلى. وظهر في اليوم التالى مربوطا بالأضمدة في مستشفى، يلعن الإرهاب الإسرائيلي - وذلك على التليفزيون الإسرائيلى. وفى سنة ١٩٩٧ محام في غزة قدم مقالا إلى جريدة واصفا التحقيق الذى قام به البوليس الإسرائيلي ضد رئيس الحكومة وأعضاء في الحكومة الإسرائيلية، ومقترحا في ذلك المقال أن إجراءات مماثلة يمكن أو يجب أن تتخذ بواسطة السلطات الفلسطينية. إن المحرر أو رئيس التحرير لم ينشر هذا المقال وإنما أحاله إلى النائب العام الذى أمر بالقبض عليه وسجن كاتبه. ص٢٧١

إن أعدادا كبيرة ترى دلالة ذلك أو حتى فإنها تصرح به. إن انتخابات السلطة الفلسطينية التى أجريت في يناير سنة ١٩٩٦ أشيد بها على أنها أكثر الانتخابات حرية وعدالة في العالم العربى. إنها اختلفت اختلافا واضحا عن الانتخابات الاستعراضية التى أجريت في وقت سابق في لبنان وفى حضور جار مختلف ألا وهو سوريا. وإنه لم يمر دون ملاحظة أن التحقيق العلنى الوحيد في مذبحة صبرا وشاتيلا كان تحقيقا قضائيا أجرى في إسرائيل. إن مثل ذلك التحقيق لم يجر أو يقم في أي من الدول العربية، والمرتكب الرئيسى للمذبحة وهو قائد للمليشيات المسيحية اللبنانية كان في ذلك الوقت حليفا لإسرائيل، وانضم فيما بعد للجانب السورى واستمر لسنوات عضوا محترما في الحكومة المتمتعة برعاية سوريا في بيروت.

وأخيرا فإنه قامت بعض العلامات على حدوث تغيير. فالجمعية أو المؤسسة الملكية للأبحاث أو للدراسات العقائدية المقارنة في عمان اهتمت باليهودية كاهتمامها بالإسلام والمسيحية. إنها دعت دارسين يهود من إسرائيل ومن بلاد أخرى للإسهام في نشاطاتها وفى صحيفتها باللغة الإنجليزية. إن تلك المحاولة لتقديم أو لشرح المعتقدات اليهودية أو الثقافة أو الحضارة اليهودية بطريقة موضوعية وحتى السماح لليهود بأن يتكلموا عن أنفسهم هو شيء نادر إن لم يكن وحيدا في الدول العربية وربما في العالم الإسلامي بأكمله.

وعلى مستوى أكثر تسيسا، فإن عددا من المثقفين العرب في الخارج وحتى في الدول العربية قد عبروا عن قلقهم وامتعاضهم من العداء للسامية الفاحش الذى يلون مناقشة الصراع العربى الإسرائيلى. ففى يناير سنة ١٩٦٧ مجموعة من المصريين

والأردنيين والفلسطينين متضمنة مثقفين ومحامين ورجال أعمال تقابلوا مع مجموعة مماثلة من الإسرائيليين في كوبنهاجن واتفقوا على إقامة تحالف دولى عربى إسرائيلى من أجل السلام. إن إعلانهم لم يقتصر على التصريحات الخيرة المعهودة ولكنها دخلت في مناقشات تفصيلية لبعض الأمور المحددة التى هى محل الاهتمام. ولاحاجة للقول إن المساهمين في ذلك المشروع لعنوا وأدينوا من زملائهم كمخدوعين وخونة أو أسوأ من هذا. إن الكلمة الأخيرة يمكن أن نتركها لعلى سالم، واحد من أول المثقفين المصريين جرؤ على زيارة إسرائيل. إنه قال : " إننى أجد أن الاتفاق بين الفلسطينيين والإسرائيليين كان لحظة نادرة في التاريخ. إنها لحظة اعتراف متبادل. إننى موجود وأنت كذلك موجود. إن لى حقا في الحياة كما أن لك ذلك الحق. إن هذا طريق طويل شاق ومرحلته الأخيرة هى الحرية وحقوق الإنسان. إنها لن تكون مرشوشة بالورد ولكن محفوفة بمخاطر الصراع والاستمرار أو التحمل. إن الإنسان لا يمكن أن يصنع السلام فقط بالكلام عنه. إنه لا طريق هناك الا بالتقدم لتحقيق السلام بالأفعال وليس بالأقوال".

المحتـويات

تعريف بالمؤلف

برنارد لويس ثقة محترم عالميا فى تاريخ الإسلام والشرق الأوسط، وهو الأستاذ الشرفى لدراسات الشرق الأدنى فى جامعة برنستون حيث كان يعمل منذ سنة ١٩٧٤. وقد ولد فى لندن فى سنة ١٩١٦، واشتغل أستاذا لتاريخ الشرق الأوسط فى معهد الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن فى المدة من سنة ١٩٤٩ الى سنة ١٩٧٤.

وكتبه العديدة تشمل "العرب فى التاريخ" صدر سنة ١٩٥٠ وطبع ست مرات أخرها ١٩٩٣، " وظهور تركيا الحديثة " نشر فى سنة ١٩٦١ وطبع مرتين أخرهما فى سنة ١٩٦٨، "إسطنبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية" سنة ١٩٦٣، "الحشاشون" سنة ١٩٦٧، "الإسلام يكتشف أوروبا" سنة ١٩٨٢ وأعيد إصداره فى سنة ١٩٩٤، "اللغة السياسية فى الإسلام" نشر فى سنة ١٩٨٨، "الجنس العرقى والرق فى الشرق الأوسط" فى سنة ١٩٩٠، "حضارات فى صراع ، المسيحيون والمسلمون واليهود فى عهد الاكتشافات الجغرافية" فى سنة ١٩٩٥، و"الشرق الأوسط في ألفى سنة من التاريخ منذ قيام المسيحية إلى اليوم" فى سنة ١٩٩٥. وقد ترجمت كتبه إلى أكثر من عشرين لغة منها العربية والفارسية والتركية والإندونسية والماليزية.

كتب بقلم : برنارد لويس

- من بابل إلى الترجمانات، شرح وتحليل للشرق الأوسط .
- ماذا حدث؟ وأين الخطأ؟ تأثير الغرب في الشرق الأوسط ورد الفعل.
- موسيقى منبعثة من طبول بعيدة : أشعار كلاسيكية عربية وفارسية وتركية وعبرية.
- فسيفساء شرق أوسطية : شظايا من حياة ورسائل وتاريخ الشخصيات المتعددة للشرق الأوسط.
- حضارات في صراع : المسيحيون والمسلمون واليهود في زمن الاكتشافات الجغرافية .
- الشرق الأوسط : « تاريخ مختصر للألفي سنة الماضية ».
- العوامل التي شكلت الشرق الأوسط الحديث.
- الإسلام والغرب.
- لغة الإسلام والسياسة.
- الجنس العرقي والرق في الشرق الأوسط : « تحقيق تاريخي ».
- الساميون وأعداء السامية : بحث في التعصب والتعارض.
- اليهود في الإسلام.
- الحشاشون : « فئة متطرفة في الإسلام ».
- اكتشاف المسلمين لأوروبا .
- التاريخ : تذكره ، واستعادته وابتداعه.
- الإسلام من النبي محمد إلى فتح القسطنطينية (جزءان).
- الإسلام في التاريخ : أفكار وناس وأحداث في الشرق الأوسط.
- إسطنبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية .
- بزوغ تركيا الحديثة.
- العرب في التاريخ.